جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

الجيش المغربي في عهد السلطان المولى إسماعيل (1083-1139هـ)/ (1672 . 1727م) (عبيد البخاري نموذجًا)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

عواطف خلدون

سلمى زياني

إشراف الأستاذ:

د/ جلول بن قومار

الاسم و اللقب	الصفة
د. الشافعي درويش	رئيساً
د. عمر بن قايد	مناقشاً
د. جلول بن قومار	مشرفاً و مقرراً

الموسم الجامعي: 1438-1439هـ/2017-2018 م

"وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ."

صَدَقَ الله العَظِيمْ

(سُورَة الإسراء، الآيَة رَقَمْ: 85)

الإهـــداء

الحمد لله رب العالمين نحمده سبحانه وتعالى ونصلي ونسلم على صفوته من خلقه وخاتم رسله سيدنا محمد النبي الأمي، اللهم صلي عليه وعلى آله ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه وعمل بسنته إلى يوم الدين لنا عظيم الشرف أن نهدي هذه المذكرة إلى كل من :

إهداء الطالبة خلدون عواطف :

إلى روح والدي الغالي وأخي العزيز متمنيةً من الرحمن أن يسكنهم فسيح جنانه، أهدي ثمرة جهدي إلى نور عيني والتي جعل الله الجنة تحت أقدامها أمي حفظك الله وأطال في عمرك، وإلى رفيق دربي وعوني مشجعي في تحقيق أحلامي زوجي حفظه الله ،إخواني وفقهم الله ،وأختي الغالية، صغاري رعاهم الله (إسلام – هديل – إيلاف).

إهداء الطالبة زياني سلمى :

إلي كل من ضحيا بكل غالي ونفيس من أجل تربيتي وتعلمي وإسعادي راجية لهما طوال العمر، أمي منبع الحنان والمحبة وأبي منبع التقدير والتشجيع، زوجي مصدر الصبر لي في مسيرتي الدراسية، أخواتي متمنية لهم التوفيق –ابني العزيز على قلبي – من كان له الفضل في إخراج هذه المذكرة وخصوصا إلى من شاركتني وشاركتها ثمرة هذا الجهد أختي وزميلتي عواطف خلدون وفقها الله في حياتها.

إلى أساتذتنا الفضلاء في كل مراحل دراستا وإلى هؤلاء جميعا نهدي أول محاولاتنا العلمية التي نتمنى أن يوفقنا الله فيها وتكون بداية لانطلاقة ناجحة.

الحمد لله العلي العظيم، الذي منحنا الصبر والقوة والطموح، ومن علينا بنعمة الصحة والعافية وسخر لنا يد العون والمساعدة لإتمام هذا العمل.

جاء في الأثر من لم يشكر الناس لم يشكر الله فإنه يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل والتقدير العظيم لأستاذنا المشرف الأستاذ الدّكتور : جلول بن قومار حفظه الله ورعاه وأطال في عمره الذي لم يدخر أي جهد ،في توجيه النصيحة ،ومتابعة خطوات البحث إلى نهايتها له منا جزيل الشكر والإمتنان .

إلى صديقة الدراسة شعبان منى وفقها الله وسدد خطاها في مشوارها الدراسي، التي لم تبخل علينا بدعمها لنا بمجموعة كبيرة من الكتب التي كانت سنداً لنا طيلة فترة إنجازنا للدراسة كما أشكر كل أساتذة التاريخ بالقسم وعلى رأسهم الأستاذ أبو بكر فوزي والأستاذ بن قايد عمر وتوجيهنا ومساندتنا ببعض الكتب بارك الله لهم.

إلى كل أعضاء أسرة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – القطب الجامعي الثالث جامعة غارداية.

نسأل الله أن يحفظهم ويمتعهم بالصحة والعافية، وأن يجازيهم عنا خير الجزاء وأن يجعل جهدهم هذا في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

لائحة الرموز والمختصرات المستعملة في البحث

باللغتين العربية والفرنسية.

الرمز	المعنى
د ت	بدون تاريخ
ط	طبعة
ج	جزء
ص ص	صفحات عديدة متلاحقة
مج	مجلد
R	Revue
N°	Numéro
S.D	Sans Date
S.I.H.M	les sources inédites de L histoire du Maroc
P	Page
T	Tome
Vol	Volume
Pp	Pages Continues

يتمحور موضوع هذه الدراسة حول الجيش في عهد المولى المغربي إسماعيل (1672م/1727م)، بصفة عامة وقد خصصنا نموذج من فرق هذا الجيش وهي فرقة جيش عبيد البخاري التي أنشأها المولى إسماعيل الذي تولى الحكم مباشرة بعد وفاة أخيه المولى الرشيد 1672م فاستطاع المولى إسماعيل بحكمته وخبرته العسكرية من خلق نموذج جديد في فرق الجيش التي تكاد أن تكون الفريدة والوحيدة في شمال إفريقيا وفي تاريخ العلويين، كما يمكننا القول أنه بهذا الجيش استطاع أن يُخضع البلاد والعباد, بالإضافة إلى توفير الأمن والأمان ,وبناء دولة تتوفر على جميع مقاييس الرخاء والتطور بمفهوم ذلك العصر، وبعدما اتسعت رقعة المملكة، سارع إلى استرجاع الثغور من الاستعمار الأوربي ويعود الفضل في تلك الفتوح لجيشه الجديد عبيد البخاري.

دواعي اختيار الموضوع :

1- يعود سبب اختيارنا لموضوع الجيش في عهد المولى إسماعيل(1672م/1727م) عبيد البخاري نموذجاً، إلى دراستنا السابقة لعهد العلويين في مرحلة الليسانس، فقد شد انتباهنا شخصية المولى إسماعيل المؤثرة الذي نهض بدولة العلويين إلى التطور والقوة والازدهار في العصر الحديث.

2- ومما شجعنا على دراسة الموضوع، هو تميز وإنفراد هذا السّلطان في طريقة حكمه لبلاده إذ حكم المغرب زهاء خمسة وخمسين سنة.

3- وقد زاد في حماسنا لدراسة الموضوع أستاذنا المشرف الدكتور جلول بن قومار، حيث وجهنا للمجال أو الجانب المميز في دراسة عهد المولى إسماعيل، فلا يمكن دراسة هذه الفترة دون التطرق أو البحث عن تفاصيل المؤسسة العسكرية الجديدة التي ابتكرها وهي جيش عبيد البخاري وآثار هذه المؤسسة على العلويين، وعلى الأتراك العثمانيين في الجزائر بصفة خاصة وعلى جيرانه الأوروبيين بصفة عامة.

4- تعتبر هذه الدراسة من المواضيع التي لازالت تجذب اهتمام الدارسين من أجل التعمق والبحث عن التفاصيل الدقيقة التي تتعلق بالموضوع.

أهداف الدراسة :

يمكن تلخيص أهداف هذه الدراسة فيما يلي :

– إلقاء الضوء على شخصية المولى إسماعيل العلوي، ومعرفة مؤهلاته السّياسية وحكمته الدبلوماسية والعسكرية التي ساهمت في تحقيق النهوض بالمغرب الأقصى في عهده.

– إبراز مجهودات المولى إسماعيل الذي بذلها في تطوير الجيش، وإصراره على تكوين جيش جديد خاص بالسلطان أطلق عليه اسم جيش عبيد البخاري.

– إظهار العلاقة بين رجال السياسة ورجال الدين في تكوين هذا الجيش وما ترتب عنه من نزاعات فقهية بين الطرفين كإشكالية تمليك الحراطين.

– إثراء المكتبة التّاريخية بهذا النوع من الدراسات التي تظهر جانب من حكمة ودهاء ودبلوماسية المولى إسماعيل في تسييره وحكمه للمغرب في فترة كانت البلاد بأمس الحاجة إلى سلطان يكتسب ملكة التنظيم والتميز، فكان الجيش من أبرز اهتماماته.

الإطار الزماني والمكاني للدراسة :

تحدد الفترة الزمنية لهذه الدراسة مدة حكم السّلطان المولى إسماعيل، من سنة 1672م إلى سنة 1727م أي مدة خمسة وخمسين سنة، مع التركيز في الدراسة على فترة حكمه للمغرب، والهدف من ذلك هو إبراز أهم إنجازاته السياسية والعسكرية خاصةً تلك المتعلقة بجانب تطويره للجيش , أما مكان الدراسة فهو المغرب الأقصى .

الإشكالية المطروحة في الدراسة :

تتمحور إشكالية البحث في نقطة مركزية تتمثل في الدور الكبير الذي قام به جيش عبيد البخاري أو جيش الوصفان كما يطلق عليه من أجل تحقيق الأمن والأمان وتوسيع رقعة البلاد واسترجاع الثغور المحتلة من طرف الاستعمار الأوربي ومواجهة الأتراك العثمانيين في الجزائر بسبب الخلافات على الحدود، ولأهمية الموضوع نطرح التساؤلات الآتية :

كيف نظم المولى إسماعيل جيش عبيد البخاري (الوصفان) ؟

للبحث عن إجابة للسؤال المحوري لابد من طرح بعض التساؤلات الفرعية وهي كتالي :

ما الدوافع التي استند عليها المولى إسماعيل في تكوين هذا الجيش ؟

ما الدور الذي قام به جيش عبيد البخاري في تدعيم أركان الدولة ؟

ماهي الفرق التي كونت هذا الجيش ؟

هل جيش عبيد البخاري كان نعمة عن المغرب أم نقمة ؟

الدراسات السّابقة للموضوع :

لابد أن دراسة الجيش في عهد المولى إسماعيل (1672م/1727م)، (جيش عبيد البخاري قد كان محط اهتمام الكثير من الدارسين والباحثين , وقد أسالوا الحبر الكثير في التأليف والكتابات عن المولى إسماعيل وحياته السياسية والعسكرية أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

عبد الكريم الفلالي :**التاريخ السياسي للمغرب العربي** يحتوي على اثنا عشرة جزءاً، وخاصة الجزء الرابع الذي خصه بالتفصيل لجيش عبيد البخاري.

وكذا دراسة الأستاذ عبد الحق المريني في كتابه الموسوم بـ **الجيش المغربي عبر التاريخ**.

ودراسة الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في كتابه تحت عنوان **الجيش المغربي عبر العصور**.

ثم الكتاب القيم للأستاذة ثريا برادة الموسوم بـ **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**.

وبالنسبة للرسائل الجامعية التي تناولت في بعض جوانبها جيش عبيد البخاري نذكر على سبيل المثال محمد الحيمر : **الجيش الدخيل في الدولة الإسلامية ،جيش العبيد والانكشارية العثمانية محاولة في المقارنة** ،أطروحة دكتوراه في التاريخ، أشراف المودن عبد الرحمان ،كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط 2001.

كذلك دراسة الأستاذ: جلول بن قومار : **علاقة المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهد أحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي (1578م/1603م)/(1672م /1727 م)**، وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، وكذا الدراسة التي قام بها

*-Marc André Nolet : **leur contribution à la construction de létat Marocain du XVI au XVIII sicle** ,Mai 2008 ; université du quebc , à Montréal.*

إلى جانب العديد من المقالات والبحوث لباحثين تعرضوا لموضوع الجيش في عهد المولى إسماعيل (1672م/1727 م) لا يسع المجال لذكرها جميعا،كما لا يمكن القول أنّ الدراسة التاريخية للجيش في عهد المولى إسماعيل (1672م/1727م) قد تم الإلمام بكل جوانبها، بل هناك من

الجزئيات والأحداث ما يحتاج إلى الكشف والبحث فيها، وهو ما دفعنا لدراسة الموضوع والتعمق في البحث عن حقيقة تشكيل وإعادة تكوين وهيكلة جيش جديد هو عبيد البخاري وآثاره في عهد المولى إسماعيل (1672م/1727 م).

خطة البحث :

لقد قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة ثم ثلاث فصول وبعدها خاتمة وملاحق.

تناولنا في المقدمة التعريف بالموضوع، دوافع اختياره، أهداف الدراسة، الإشكالية المراد مناقشتها ثم وصفنا المناهج المتبعة في معالجة الموضوع، كما تطرقنا فيها أيضا إلى الصعوبات التي إعتراضتنا خلال أنجاز هذه الدراسة وفي الأخير قدمنا وصف ونقد لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة أما الفصل الأول فكان بعنوان المولى إسماعيل حياته وآثاره (1672م/1727 م).
كما أدرجنا الفصل الثاني بعنوان الجيش في عهد المولى اسماعيل1672/1727م.

فيما يخص الفصل الثالث الذي كان بعنوان :جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل 1672/1727م هو بدوره قسمناه إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول بعنوان : تأسيس جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل 1672/1727م، المبحث الثاني : تطور جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل 1672/1727م، المبحث الثالث : مكانة جيش البخاري في تاريخ المغرب، وأخيراً **الخاتمة**، فتضمّنت النتائج المتوصل إليها، وذيلتها ببعض **الملاحق** التي رأيت أنّها تخدم الموضوع، وتعتبر توثيقًا لعدد من القضايا التي وردت في ثنايا الدراسة.

المنهج المتبع في الدراسة :

من أجل الإجابة عن التساؤلات المطروحة في الموضوع استلزمت الدارسة إتباع المناهج التالية :
1-المنهج التاريخي الوصفي : وقد تم الاعتماد عليه في عرض الأحداث وتتبع مراحل حياة وآثار المولى إسماعيل وسردها.
2-المنهج التحليلي :وتم استخدامه عند عرض المادة العلمية وكيفية استخراج وتصنيف رأي كل مؤلف في تأييده أو معارضته لقضية تمليك الحراطين وتكوين جيش عبيد البخاري، هذا ما ولد

خلاف كبير بين السلطان المولى إسماعيل والفقهاء خاصة فقهاء فاس، وقد نجم عن هذا انقسام في رأي المؤلفين خاصة بعد قضية محنة العالم الفقيه أبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس.

عرض نقدي لبعض المصادر والمراجع :

أ)- المصادر و المراجع باللغة العربية :

1- البستان الظريف في دولة مولاي علي الشريف :

لأبي القاسم الزياني، وزير مؤرخ الدولة العلوية، من مواليد سنة (1147هـ-1249هـ)/ (1734م-1833م)، وقد استفدنا منه عند تدوين الأحداث المتعلقة بسيرة المولى إسماعيل، حيث أن المؤلف خصص باباً في كتابه هذا بعنوان الشجاعة واصفاً بذلك مسيرة المولى إسماعيل منذ البيعة إلى الوفاته له عدة مصنفات أخرى, منها : التُّرْجُمَان الْمُعْرِب عنْ دُوَلِ المشْرِق و الْمَغْرِب الذي طُبع : منه فصل خاص بدولة الأشراف العلويين = (خبر أول دولة من دول الأشراف العلويين من أولاد مولانا الشريف ابن علي) في باريس بعناية (هوداس) باريس-المطبعة الجمهورية 1884م في 333 صفحة،كذلك جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان كتاب تاريخي مهم جاء في سبعة أبواب تضمنت: ذكر أهل البيت العلوي.

2-روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف :

لمحمد الصغير بن محمد بن عبد الله اليفرني، فقيه وأديب ومؤرخ كبير تعود أصوله إلى قرية يفرن من ناحية سوس، ولد بمراكش سنة 1080هـ/1660م، وتوفي سنة 1155هـ/1742م، يعتبر كتابه مصدراً هاماً لسيرة وتاريخ السلطان المولى إسماعيل، وقد أفادنا كثيرا عندما تطرقنا في موضوعنا للتعريف بهذا السلطان، في حياته وأثاره، مع المعارك التي خاضها المولي إسماعيل في تحريره للثغور المغربية.وقد استعنا بمؤلفات أخرى له.

3-" تاريخ الدولة السعيدة" :

لأبي عبد الله بن محمد بن عبد السلام الرباطي، لم يعرف مكان وفاته ولا تاريخها على التحقيق،يعتبر كتابه من المصادر الهامة لتاريخ الدولة العلوية، ترجم له ابن سودة في كتابه دليل مؤرخ المغرب الأقصى، حيث ذكر أنّه ولد سنة 1165هـ/1751م، وأفدت من هذا الكتاب عند تناول

الأحداث التي واجهت المولى إسماعيل في بداية عهده، وعند استرجاعه لمدينة العرايش، أصيلا، حصار سبتة، كيفية جمع عبيد البخاري , وقضية النزاع حول تمليك الحراطين.

4-الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي :

أبو عبد الله محمد بن أحمد المشهور ب أَكَنْسُوس أَو كَنْسُوس أو الكَنْسُوسي ولد (1211هـ1796/م- توفي 1877م) أديب ومؤرخ وصوفي ورجل دولة مغربي، تولى الوزراة في عهد المولى سليمان والمولى عبد الرحمن، أشهر مؤلفات أكنسوس هو كتاب الجيش العَرَمْرَم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، الذي ألفه وهو في السبعين من عمره، كتاب صغير الحجم، لا يحتوي بجزأيه الاثنين على أكثر من 420 صفحة، هذا مع التوسع الكثير في أخبار الدولة الشريفة العلوية، وذكر ملوكها إلى عهده ملكا ملكا، واستخدمناه في الدراسة حول الجيش عبيد البخاري.

5-المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف :

لأبي عبد الرحمان بن زيدان توفي يوم السبت 21 ذو الحجة 1365هـ/16 نوفمبر 1946م مؤرخ الدولة العلوية،من مواليد مكناس في ربيع الثاني 1295هـ/ماي 1878م، عينه السلطان محمد بن عبد الله نقيبا للشرفاء العلويين، له مؤلفات كثيرة في تاريخ الدولة العلوية، يعتبر كتابه ذو أهمية كبيرة في تاريخ فترة مولاي إسماعيل لما يحتويه من معلومات ووثائق تخص المولي إسماعيل وعائلته وما يتمحور حول تكوين الجيش .وله عدة مؤلفات ساهمت الكثير في دراستنا منها : إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس فساعدنا على التعريف بالشخصيات التي كانت لها دورا فعال في دراسة الموضوع كذلك الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة والعز والصولة في معالم نظم الدولة.

6-الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى – الجزء السابع :

ولد أحمد بن خالد الناصري بمدينة سلا، يوم 22 مارس 1835، ونشأ في إطار ثقافة دينية تقليدية، علاوة على كونه ينتسب إلى الزاوية الناصرية التامكروتية الواقعة بوادي درعة. وتولى الناصري عدة مناصب مخزنية كالإشراف على إدارة الأحباس وكأمين لعدة مراسي، يتناول الناصري في هذا الجزء : تاريخ الدولة العلوية، منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي حتى نهاية القرن التاسع عشر

الميلادي، مع انه مرجع لكنه مرجع مهم حيث تناول في كتابه فترة حكم المولى إسماعيل وخاصة تكوينه وتطويره لجيش عبيد البخاري بالتفصيل هذا ما جعلنا نرجع له كثيرا

ب)– المصادر التاريخية باللغة الأجنبية :

والمصادر الأجنبية التي اعتمدنا عليها في كتابة هذه المذكرة باللغة الأجنبية هي مؤلفات هونري دو كاستري تحت عنوان المصادر المغفلة لتاريخ المغرب عهد العلويين أو الفلاليين

(Section Historique du Maroc a Paris)sources inédites de l histoire duMaroc ,dynastie filalienne, deuxieme série, Archives et Bibiotheques de France, tome II,Paris ,1924.

الصّعوبات التي واجهتنا في إعداد الدراسة :

لا يخلو أي عمل جاد من صعوبات وعراقيل منها : أول الصّعوبات الّتي واجهتنا خلال إنجاز هذه الدراسة عدم تمكني من الحصول على بعض المخطوطات والمصادر الهامّة نظرًا لعدم توفرها إلا في المكتبة الملكية في المملكة المغربية، إذ لو تمكنا من هذه المصادر والمراجع لكانت إفادتنا أكثر، ككتاب : "**جني الأزهار ونور الأبهار**" لعبد الرحمان بن زيدان، وكذا كتاب "**البيان المطرب لنظام حكومة المغرب** " لعبد الحميد بن أبي زيدان بنشنهو.

– صعوبة الإحاطة بكل المادة العلمية واستخراجها من مصادرها العربية والأجنبية، فقد جعل المعلومات تختلط علينا مما تطلب منا قراءة متأنية مستمرة،وواعية للمادة الخبرية التي أخذت منا وقتا طويلا، إلى أن تمكنا من الإلمام بجوانب الموضوع خاصةً في قضية تمليك الحراطين.

ولا يفوتنا قبل الختام أن نذكر مقولة العماد الأصفهاني حين قال : « **إنّي رأيتُ أنّه ما كَتَبَ أحَدُهُم في يَومِهِ كِتاباً إلاّ قالَ في غَدِهِ، لو غُيّرَ هذا لَكانَ أَحسن ولَو زُيِّدَ ذاكَ لَكانَ يُستَحسن، ولَو قُدِّمَ هذا لكانَ أفضل،ولو تُرِكَ ذاكَ لَكانَ أجمل، وهذا مِن أعظَمِ العِبر، وهو دَليلٌ على استيلاءِ النّقْصِ على جُملَةِ البَشر...** »

والله الموفق والمستعان.

الطالبتان :

- **خلدون عواطف.**
- **زياني سلمى.**

غرداية في : **2018/05/01م**

المبحث الأول

المولى إسماعيل المولد والنشأة

1- مولده ونسبه :

أ)– مولده :

ولد السلطان أبو النصر إسماعيل بن الشريف بسوس عام خمسة وستين وألف وجاء في بعض راويات شيوخ من الأشراف المقيمين في تافيلالت[1]، أنه ولد عام ثمانية وخمسين وألف بالقصر المعروف بأمجار انه ولد بتافيلالت[2]، ويقال أن المولى إسماعيل ولد في عام حادثة القاعة1056هـ/1646م [3]، حيث تحالف بها الدلائين[4] وقوات محمد الشريف[5]. لقد فرح أبوه بولادته فرحا شديدا وذلك راجع لأن الله وهبه إياه عند الكبر وسماه إسماعيل[6]، أما المؤرخ الضعّيف فقد رجح أنّه ولد في آخر ذي القعدة عام 1051هـ/1641م[7].

---

(1) تافيلالت : هذا الأسم يطلق على إقليم **سلجماسة** ويمتد من جنوب مضيق جبل **"تاغيا"**إلى جبل "صاغور "و"سبخة بومعيز" وما إليها .ينظر ابوالقاسم الزياني : **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**، القسم الأول (منا لنشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، ط1، تصنيف وتصميم الشركة المغربية للطباعة والنشر –الرباط، 1992م، ص66.

(2) عبد الرحمان بن زيدان:**الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**، المطبعة الاقتصادية بالرباط، 1937، ص 29.

(3) هي معركة بين الدلائيين وقوات مولاي محمد الشريف سنة 1056هـ/1646م، إنهزم فيها مولاي محمد، وأقتحم الدلائيون سجلماسة، وقسموا معه مناطق النفوذ فأعتبر كل ما يقع جنوب الصحراء، هي مناطق تابعة للمولى محمد الشريف، ومن جهة الشمال،مناطق نفوذ الحاج محمد الدلائي.ينظر محمد الضّعيف الرباطي:**تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السّعيدة)**، تحقيق وتعليق أحمد العماري، ط1، دار المأثورات الرباط 1986، ص 9.

(4) الدلائين : الأصل هو "الدلاء" وتطلق على الأرض التي أسس فيها المجاطيون زاويتهم بالجنوب الغربي للأطلس المتوسط المشرف على سهول تادلا، ينظر محمد حجي ,**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي**، ط2، 1409هـ/1988.دار النور الجديدة –الدار البيضاء، ص45.

(5) حمد الصغير بن الحاج بن عبد الله اليفرني : **روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ط2، المطبعة الملكية الرباط، ص 41.

(6) عبد الرحمن بن زيدان : **المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، ط1، مطبعة إديال، الدار البيضاء، المغرب1993، ص43.

(7) محمد الضعيف الرباطي : المصدر السابق، ص 9.

كما ذكر كذلك مؤرخ الدولة العلوية عبد الرحمان بن زيدان (1056هـ/ 1646م)في كتابه المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف أن مولده كان في حادثة القاعة[1].

أما عن والدة المولى إسماعيل تدعى مباركة بنت يرك المغفري الأوديي وافتها المنية سنة ثمان وسبعين وألف للهجري، 1668م /1078هـ، وأنها حرطانية[2] لأولاد ديمان قاموا بإهدائها لأبي دميعة السملالي[3] وهي من الجواري اللاتي كن عند "أبوحسون السلامي" ووقع اختيارها من بين النساء لإهدائها للمولى" علي الشريف "لتقوم بتهوين السجن عليه ومساعدته في ضيقته وتلبيت حاجياته وخدمته والاحتمال الكبير أن المولى الشريف تزوج منها وأنجبت له المولى إسماعيل[4]، وكما ورد في التاريخ السياسي للمغرب الكبير بأن ولد السلطان إسماعيل بن الشريف بن علي بقصر أمجار الواقعة في الجنوب الشرقي من قصر "أبوعام" خلف سوق الريصاني في تافيلالت سنة 1045هـ/1635م وأنه يصغر عن أخيه الرشيد بحوالي خمس سنوات، وهو الأصغر من بين جميع إخوانه[5].

ب)– نسبه :

يرجع نسب العلويين إلى علي ابن أبي طالب عن طريق الحسن السبط، ثم ابنه الحسن المثنى بعده عبد الله الكامل، حتى يصل إلى محمد النفس الزكية الخ، وهذا ما يؤكده العديد من المؤرخين[6]، فقد قال صاحب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي محمد الصغير الوفراني عن نسب العلويين

---

(1) عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص43.

(2) حرطانية : ولقد اختلفت الرويات التاريخية حول أصل هذه الأمة هل هي أمة ؟ أم حرطانية، ويقصد بحرطانية حرة للمرة الثانية، ينظر أبو القاسم الزياني : **البستان**، ص76، هامش رقم 124.

(3) السملالي : هوعلي بن محمد بن أحمد بن موسى الجزولي السّملالي الملقب ببودميعة، زعيم شعبي بمنطقة سوس، قام بثورة سنة 1035هـ–1070هـ/1625م–1659م، كان يرى أن الدولة السّعدية قد انحرفت عن الأهداف التي قامت من أجلها، ينظر عنه، إبراهيم حركات : **السياسة والمجتمع في العهد السّعدي**، دار الرشاد الحديثة 1987، ص 98.

(4) عبد الرحمن بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص44.

(5) عبد الكريم الفلالي : **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**, 1ط، ناس للطباعة، 2006، القاهرة، ج 4، ص 123.

(6) محمد الأخضر مبرز السربون : **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية** (1071–1311 هـ)/(1664–1894 م)، دار الرشاد الحديثة – دار البيضاء ، 2013، ص66.

أن بدايتهم تعود إلى "**المولى علي ابن المولى محمد ابن المولى علي ابن المولى يوسف ابن المولى علي الملقب بالشريف ابن المولى الحسن ابن المولى محمد ابن المولى الحسن ابن المولى قاسم ابن المولى بلقاسم ابن المولى سيدي محمد ابن الحسن ابن المولى عبد الله ابن المولى أبي محمد عرفة أبن المولى حسن أبن المولى أبي بكر أبن المولى علي ابن المولى حسن ابن المولى إسماعيل ابن المولى قاسم ابن المولى الحسن المثنى ابن المولى الحسن السبط ابن علي ابن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم**"[1].

لهذا سمي هذا النسب بسلسلة الذهب من طرف العلماء والشيوخ، بالنسبة للمؤرخ الضعيف فقد روى نهم من الأشراف وقد جاءوا من سجلماسة[2]، من أرض الحجاز من ينبع النخيل[3]، وجاء على لسان العالم الصالح سيدي إبراهيم بن هلال رحمه الله أن مجيئهم كان في أوائل الدولة المرينية[4].

عني في أواسط المائة السابعة، كما قال الإمام الحافظ العلامة أبو محمد عبد الله بن علي الطاهر الحسني[5]. أنه أحد أحفاد جد المذكور أن مجيئهم كان سنة أربعة وستين وستمائة هجري.

---

(1) محمد الصغير اليفراني : **نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي**، صحح عباراته هوداس، طبع في انجي سنة 1888م ص288.

(2) ذكر البكري أن مدينة سجلماسة بنيت سنة140هـ ويصف دورها الرفيع التجاري الكبير كالعاصمة بني مدرار,ينظر ابي عبد الله البكري : **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد، لا توجد السنة ص148- ص152.

(3) الينبع : هي مجموعة قرى بأرض الحجاز اشتهرت بكثرة عيونها ونخيلها وهي موطن الشرفاء بني علي كرم الله وجهه، ينظر أبو القاسم الزياني، **البستان**، ص63.

(4) بنو مرين : فرع من قبيلة زناتة الأمازيغية (البربرية) الشهيرة، والتي ينتمي إليها عدد من القبائل التي لعبت أدوارًا مهمة في تاريخ المغرب العربي، مثل مغيلة ومديونة ومغراوة وعبد الواد وجراوة، وغيرهم، ينظر علي بن أبي زرع الفاسي : **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصورة للطباعة الوراقة، الرباط، 1972م، ص14.

(5) أبو عبد الله ابن علي الطاهر الشريف الحسني السجلماسي ,ولد خلال العقد السابع من القرن العاشر الهجري بتافيلالت في قرية قصر حمو داور مسكن آل الطاهر الحسني الواقعة قرب الريصاني جوار ضريح المولى علي الشريف حاليا، درس فقهاء بلدته وفي مراكش تصدر للتدريس وقد وصف، بأنه رأس في الحفظ والتحقيق والضبط الاجتهاد في العبادة، ينظر محمد الضعيف الرباطي : المصدر السابق، ص5

ويعتبر الحسن أبو القاسم أول مهاجر من المشرق إلى سجلماسة، الذي جعل من هجرته من المشرق إلى سجلماسة هو أن الحجاج المغاربة يتوافدون على الأشراف، وقد طلب أمير الحجاج من الأشراف الذهاب معه إلى المغرب الأقصى[1]،

وإذا رجعنا إلى صاحب المفاخر البربر لمؤلف مجهول، فقد فصل روايته عن أول من وفد من العلويين إلى المغرب وهو إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وذلك في وصفه الرواية كما يلي : "**إنه فر إلى المغرب سنة 172هـ/788م في عهد هارون الرشيد، وذلك بعد واقعة فخ التي جرت سنة 169هـ/786م، وقتل فيها الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه,ونجا منها كل من يحي وإدريس وابني عبد الله بن الحسن**"[2]، هذا ما ركز عليه صاحب الاستقصاء، حيث أكد على أن نسب الدولة العلوية صريح لا غبار عليه، والدليل في ذلك لاتصالهم بالرسول صل الله عليه وسلم وهذا السبب الأول ودعم ذلك باستشهاده بالعدد من المؤرخين وذكر منهم : كالشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي ,والشيخ محمد عبد السلام القادري وغيرهم، وأخيرا نستنتج أنه أجمع المؤرخون على بدايات نسب العلويين تعود إلى منطقة الأشراف بالحجاز فتكاثرت ذريتهم في تلك المنطقة وسكنوها حتى وصل نسلهم إلى المدعو حسن بن القاسم، وجئ به إلى المغرب الأقصى فذيع صيته وسمي بالداخل لدخوله المغرب. وقد قال في نسبه محمد بن الطيب القادري :

أبو ملوكنا الشريف بن علي * ومحمد علي بن يوسف يلي.**

علي الشريف ثم الحسن * محمد حسن المستوطن.**

(1) أبو القاسم الزياني : **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر ملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان العلوي**، تقديم وتحقيق، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ص ص68، 85.

(2) مجهول : **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق : عبد القادر بوباية، ط1، 2004، دار ابي رقراق –الربا، ص ص199، 200، ينظر كذلك عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص47.

فقاسم محمد القاسم * محمد الحسن ذو المكارم.**

فعابد الله أبو محمد * فعرفه محسن ذو السؤدد.**

ثم أبو بكر علي * أحمد إسماعيل قاسم ومن.**

محمد المهدي فعبد الله * فالحسان فرسول الله**[1].

2-صفته :

- صفاته الخَلقية :

لقد وصفه صاحب المنزع اللطيف وقال فيه : "**صفته جميل الصورة ربعه نحيف الجسم يظهر على البديهة غليظ وبعيد التأمل يظهر إنما هو من تعدد لباسه أبيض مشرب إلى السمرة أسود العينين فراقهما يظهر الحلم قليل لحم الخدين أقنى الأنف صغيره محدب الذقن غليظ الشفتين طويل اللحية، مفروقها من الذقن حاد الذهن نشيط لا يعرف مللا ولا كسلا خفيف الحركة ماهر في الفروسية والألعاب الرياضية**"[2].

وهذا الوصف مصدره من عدوه وأسيره مويت (mouite)الفرنسي في قصة أسره[3]، كما وصفه الضعيف الرباطي قال فيه "**أدم اللون أكحل العينين، أجعد الشعر معتدل القد وليس بطويل، أشيب اللحية كأنها قطعة ثلج**" [4].

---

(1) محمد الطيب القادري : **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق : محمد حجي وأحمد التوفيق، ج2، نشر مكتبة الطالب – الرباط، ص148.

(2) عبد الرحمن بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص47.

(3) جيرمان مويت :فرنسي ذو موهبة في الكتابة وذاكرة قوية تختزن الأحداث، كاثوليكي متعصب، الذي قضى أسيرا في المغرب زهاء إحدى عشرة سنة وقد قضى أسره في عصر الرشيد وإسماعيل، والذي ألف كتاب بعنوان **رحلة الأسير مويط** ترجمه كلا من : محمد حجي ومحمد الأخضر ,وزارة الثقافة، دار المناهل للطباعة والنشر، 1990م، ص ،ص 6،74.

(4) محمد الضعيف الرباطي : المصدر السابق، ص99.

– صفته الخُلقية :

كما زاد عبد الرحمان بن زيدان في صفته الخلقية قال : "**متجلد في الحوادث لا تزعزعه العواصف ولا يفت في عضده طروق الملمات حتى انه كان إذا اخبر بكيد عدو لا يتغير وجهه ويجيب بأنه إذا أراد الله بقاء ملكه فلا سبيل لأحد عليه**"[1]. أما الضعيف الرباطي فقال :"**جميل اللقاء عفو، رؤوف، بسط، مقدس للعلماء مقر بالهم، سخي عليهم من بيت المال ،فصيح المنطق، حافظ للتواريخ الناس وأيامهم، منفذ لوعوده، يتميز بالسياسة والشجاعة والحزم**"[2].

وصفه كذلك من الشخصيات الأوربية في معاملته للأسري "سان ألون" سفير الملك الفرنسي لويس الرابع عشر في رسالة وجهها لملكه المذكور قال فيها : «**أمّا أخصّ أوصافه فهو الاعتقاد الراسخ في الدين، لا تأخذه في الدين لومة لائم، مستحضر لآي القرآن في كثير من أحواله ومضحيا بنفسه في سبيل نشر الدين، وعلو كلمته، وبالجملة فإنه لم يظهر ملك ذو قوة وثبات على وصول الدين مثل مولاي إسماعيل منذ قرون، مطلع على العلوم الدينية متفقه مستحضر لمسائلها الأصلية يتم ذهب بمذهب مالك، يصوم زيادة عن رمضان شهرين في العام، وما شرب قط مسكرا في عمره، ويعتمد على الله في سائر أحواله وإذا دخل في الصلاة توجه بكليته إلى ربه، ويتجرد من نخوة الملك وحلته ويطلب من الصلحاء والحجاج والعلماء الإكثار من الدعاء له بظهر الغيب...**»[3].

بالإضافة إلى ذكره هنري دوكاستري في كتابه "**مولاي إسماعيل وجاك الثاني**" بقوله : «**إننا نجد أشياء خالية عن كل حجة تناقلتها الأفكار بأوروبا مما كان يقاسيه الأسارى من النّصارى**

(1) عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص 47.

(2) محمد الضعيف الرباطي : المصدر السابق، ص99.

(3) ينظر الرسالة وترجمتها عند عبد الرحمان بن زيدان : **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، ط1، 5ج، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2008، ج2، ص ،ص : 63،65.

عن مولاي إسماعيل من الشّدة مع أنه لم يكن يعاملهم بأكثر مما يعامل به غيرهم من الجناة وإننا لم نجد ما يعتمد فيما نسبوه إليه إلا ما نقله الأوروبيون في تواريخهم وخصوصا رجال الدين منهم، وذلك بعيدا عن الصحة فإنهم كتبوا ذلك بدون تروّ ...» [1].

فهو يدافع عن المولى إسماعيل من الذين اتهموه بالمعاملة السيئة للأسرى ورجال الافتداء كما وصفه صاحب كتاب تاريخ المغرب المطبوع بباريس سنة 1921م : «**إنّ مولاي إسماعيل قام بأمر عظيم يمكن أن نشبهه بأعاظم ملوك تاريخ فرنسا...**»[2]، وصفه الأسير مويت(mouite) بقوله : «**طويل شيئا ما، حسن الملامح، ذو لحية طويلة، ومتفرعة قليلا ونظره الذي يبدو عذبا إلى حدّ لا يدل على إنسانيته، بل بالعكس إنه شديد قاس إلى درجة أن رعاياه يقولون إنه لم يسبق لهم أميرا يضاهيه ...**»[3] ويمكن أن نلاحظ اتهامات الأسير بالقسوة وليس الوحيد بل الكثير منهم بل هنالك من اتهمه بالدموية لا نظير لها فقال المؤرخ الفرنسي إرنستلافيس"ernestlavisse" (1842م/1922م) : «**إنّ هذه القساوة لا مثيل لها في تاريخ الرق أبدا**» هذه المبالغة في وصف المولى إسماعيل بالشّدة[4].

2-نشأته :

كان مولاي إسماعيل أحب وأقرب لأبيه من باقي أخواته لما اصطفاه الله وميزه من خجل ورقة وحكمة وعلم وفطنة ودكاء وعدل والرزانة والشجاعة وأمانة وطهارة القلب والعقل والتقرب إلى الله بأعمال الصالحة وكل هده الصفات جعلت أخيه الرشيد يثق بأخيه[5].

---

(1)عبد الرحمان بن زيدان : **إتحاف**، ص 66.

(2) نفسه، ص67.

(3) جرمان مويت : المصدر السابق : ص 74، وينظر كذلك :

Michaux-Bellaire,: **L'*organisme marocain***, in revue du Monde Musulman , Paris 1909, T9, sebtembre , pp28,29.

(4) محمد الفاسي : "**حياة المولى إسماعيل**"، في مجلة تطوان، عدد خاص، 1970، ص9.

(5) عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص45.

ويكبر في عينيه وبريقه لرتب عالية قام الرشيد باستخلافه على مكناسة الزيتون[1]. ثم ضم إليه خلافة فآس[2]،وزوجه وأسكنه فيها[3].

عرف المولى إسماعيل بشبابه ،انه محبا لركوب الخيل، ورمي السهام المصوبة في جذوع النخل وكان يتبارز مع أقربائه وأخوته وأبناء عمومته اللذين كانوا يقدرونه ويخافون منه، وهذا ما أهله على القتال إلى جانب أخيه المولى الرشيد كان محبا لفروسيته أيام شبابه المبكر وبالنسبة عن تعلمه وثقافته

حيث يقول عنه عبد الرحمان بن زيدان صحاب المنزع اللطيف **"أية إعجاز في معرفة علوم الحديث والأدب والتاريخ والأنساب والسير وأيام الناس أقر له بذلك علماء وقته... ويميز**

(1) **مكناسة الزيتون** : من الأمصار القديمة بأرض المغرب بنيت قبل الإسلام ،ولما جاءت دولة الموحدين حاصروها سبع سنين ثم افتتحوها عنوة أواسط المائة السادسة وخربوها، ثم بنوا مكناسة الجديدة المسماة بتاكرارت. حظيت مدينة مكناس التي تعرف في التاريخ بـ «مكناسة الزيتون» بمكانة خاصة لدى الأسر المتعاقبة على الحكم في المغرب الأقصى، وذلك بسبب موقعها الجغرافي الفريد، والثابت تاريخياً أن مدينة فاس كانت عاصمة المغرب الأقصى منذ أواخر عهد الأشراف السعديين حتى أيام السلطان المولى رشيد العلوي، وعندما تولى السلطان المولى إسماعيل مقاليد الأمور، شرع في تجديد مكناس وتشييد معالمها وأسوارها وجعلها مفخرة معمارية وفنية رائدة، وقام بتحويل قصبتها إلى مدينة زاهية عامرة محصنة بالأسوار، وازدادت أهمية مدينة مكناسة الزيتون باختيارها عاصمة لملكه, ينظر إبن غازي المكناسي : **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية للنشر بالرباط ط2، سنة 1408هـ/1988م, ص 18، ينظر كذلك، عبد العزيز صالح سالم، **مكناسة الزيتونة عاصمة السلطان المولى إسماعيل**، دار المعلرفة للنشر 2009، ج4، ص 36. /ينظر : عبد الرحمان بن زيدان : **إتحاف أعلام**، ج1، ص، ص:44،45.

(2) فاس : بالإسبانية fez أسسها المولى إدريس الثاني عام 808م، فهي أقدم عواصم المغرب التاريخية وتبعد عن الرباط العاصمة الإدارية حاليا بنحو مائتي كيلومتر، ,وقد عاصر مؤسسها الأمير الأموي الحكم بن هشام بالأندلس وهو الذي نفي وشرد معظم سكان ضاحية الريض في قرطبة , إثر الموقعة الشهيرة التي تغلب فيها على هؤلاء الثائرين (202هـ-817م) فلجأ الريضيون إلى فاس وفيها أحيوا الصناعات المختلفة وطبعوا المدينة بطابع الفن الأندلسي ولاسيما في المعمار —حتى سميت فاس لذلك "مدينة الأندلسيين" أما "مدينة القرويين" فهي الضاحية التي عمرها سكان المغرب الأدنى، وبعد أن وفدوا من القيروان، وحيث بني بها "جامع القرويين" الذي أسسته السيد فاطمة الفهرية الادريسية وهو الآن يمثل أقدم جامعات العالم ويؤمها الطلاب من كل حدب وصوب وتجدر الإشارة إلى أن مركز فاس السياسي قد تضاءل في عصر المرابطين والموحدين ثم أعادوا أمجادها المرينيين، ينظر لسان الدين بن خطيب السلماني : **معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، ص ص، 172، 174/ينظر كذلك أبي عباس أحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي : **الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس**، تقديم وتحقيق محمد بوحنيفي، ج2، دار الكتب العلمية، ص348.

(3) عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص45.

كل واحد بقعدده ولم يكن في وقته أعرف منه بالأنساب كأنها جمعت إليه فهو نظير إليها...." [1]، كما عرف عنه أنه يقدس العلم ويقدر العلماء ومنهم العالم الذي قام بتدريسه وزيره اليحمدي[2]، درسه وعرفه على جانب أكبر كبير من الثقافة السياسية[3].

مما سبق يمكن القول أن كان والده الشريف بن علي أسيراً بسوس عند أبو حسون السملالي وزوجه بأمرة من قبيلة المغافرة ،فولد المولى إسماعيل في الأسر أطلق سراح الشريف العلوي بعد أن دفع أينه المولى محمد بن الشريف فدية مالية في حدود 1047هـ،وبحسب لبن زيدان فإنه ولد بتافيلالت بالقصر المعروف بأمجار كان عارفا بالتاريخ والسيرة النبوية وضبطها .

المبحث الثاني

المولي إسماعيل توليه الحكم

(1)عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص51.

(2) الوزير اليحمدي : أو محمد كما كان يسميه المولى إسماعيل بن الحسن اليحمدي ولد عام 1060هـ/1650م، استوزره إسماعيل وكان من اقرب المقربين له والمتولي أمور خزائنه العلمية توفي في رجب 1132هـ/1720م له أكبر كناشة عرفة بالمغرب في عهده وهي عبارة عن كشكول جمُع فيه ما استحسنه من المؤلفات منها نسخة في مجلدين ضخمين بخزانة الرباط رقم 330 ك ينظر الضعيف الرباطي : المصدر السابق : ص201، ينظر كذلك عبد الرحمان بن زيدان : **إتحاف أعلام**: ج4، ص 106-117، ينظر كذلك : عبد الرحمان بن زيدان :**المنزع اللطيف**: ص260 /ينظر كذلك خير الدين الزركلي : **الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** : تحقيق علي بن محمد ومحمد بن محمد، دار العلم للملايين، ماي 2002، ط15، ج5، ص وص 28-30، ينظر كذلك أبو القاسم الزياني : **البستان** : ص 194.

(3) عبد الكريم الفلالي : **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير** : المرجع السابق، الجزء 4،ص ص:123،124.

1- أبناء المولى إسماعيل وحفدته :

تضاربت حقيقة عدد أبناء المولى إسماعيل تضاربت من مؤرخ إلى أخر ولكن قد توحدت كلمتهم في أنهم كثر، وهذا ما أرشد إليه صاحب الحلل البهية أنه خلف بعده من البنين والبنات ما يقارب حسب الأقوال حوالي خمسمائة ولد ونيف من الذكور ونفس العدد من الإناث[1]، أما الضعيف فقد وضع لأبناءه قائمة بذكر أسمائهم وأسماء أمهاتهم، وفصل في تعدادهم إلى ما يزيد عن الألفين، كما دعم خبره هذا بأنه جمع تلك المعلومات عن أبناء المولى ممن يثق بهم من أصحاب الخير[2]، وما إن يولد عنده مولود إلا ويسجل في دفتر وقد وفر لهم الزيارة كل سنة حيث كانوا حوالي مائة دار وخمسة دور لأولاده لصلبه في سجلماسة، وقد وصل عددهم في أيام محمد ألفا وخمسمائة وستين وزادوا في عهد السلطان سليمان ولم يقطع عادة والده في زيارتهم بالإضافة إلى تأدية واجبهم من مصاريفهم اليومية وقد أسكنهم قصر "حم بك"، كما أشار الزياني إلى سداد رأي المولى إسماعيل في نقل أولاده مع أمهاتهم من مكناسة[3].

إلى تافيلالت وذلك لكي يكونوا بجانب بني عمومتهم من الأشراف، ولكي يتأقلموا هنالك مع توفير الأمان لهم من الأحداث الغير مرغوب فيها خاصة بعد وفاته[4]، وحين نبحث في تفاصيل أحوال أبناءه نجدهم كلهم في مستوى السيادة وكل ملامح الشجاعة تكمن فيهم بالإضافة إلى الرقي الخلقي والحلم والحكمة وذلك إن دل فإنه يدل على تشبعهم من خصال والدهم وقد وصفوا أبناءه في هذه الأبيات الشعرية :

بنوه كالأسد و كالبيرات ******* سيوفهم تلمع كالنيران.**

(1) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي : **الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**، دوت : إدريس بوهليلة، ج1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية –المملكة المغاربية، ص329.

(2) أحمد بن عبد العزيز العلوي : **الانوار الحسنية**، تحقيق احمد بن مجيد بن جلون، نشر وزارة الأنباء، ص88.

(3) أبو القاسم الزياني : **البستان** : ص 187.

(4) نفسه : ص 188.

منراغم في الحرب ثم في العطا ******* أبحر ماكان على هذا عطا.**

إن لبسوا الدرع فهم بدر منير ******* أو البسوا التاج فكلهم أمير.**

أشد من قسورة هم أسمعا ******* ما ولد السبع قط ضبعا.**

كذلك البازي فما أن ولدا ******* حبارة ما كان هذا أبدا**[1].

أكبر أولاده المولى محرز خلف سجلماسة عدة سنوات ثم انتقل إلى باخنوس بالقصبة الجديدة لكي يكون بين الأشراف، حيث مكنه والده من خلافة مدينة مكناس فترة صغيرة، بعده جاء المولى المأمون خليفة والده ولاه الخلافة على مدينة مراكش عدة سنوات وأشهر، بعدها تنقل إلى سجلماسة وخلفه عليها، ومنهم كذلك محمد بن إسماعيل العالم الجليل عرف عليه الحكمة وحسن الخلق والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف ,يليه المولى زيدان جعله خليفة على مدينة البيضاء[2]، والمولى علي قد أسند له الخلاف في أنكاد بقبائل العرب وأجاد وأحسن الحكم عليهم، ثم المولى أبن النصر وقد مكنه من ناحية سلا، أما المعتصم فقد بعثه والده لتأدية فريضة الحج، ومنهم العديد لم يذكرهم المؤرخ[3] وإذا أمعنا النظر في قائمة أولاد المولى إسماعيل وأمهاتهم سنلاحظ أن المولى قد نوع في انتماءات زوجاته، وهذا له من الأهمية والحكمة، حيث أن هذا التنوع سانده في مواجهة أزماته مع بعض ثوار القبائل خاصة القبائل العربية[4].

ولا بدا أن نذكر احد زوجاته التي كانت لها أهمية ومكانة بارزة في حياة المولى إسماعيل وهي :

---

(1) محمد الصغير اليفراني : **روضة التعريف**، ص85.

(2) المدينة البيضاء : حسب الزياني أسسها الزيانيون حينما أنتقلوا إلى تامسنا وتادلة "أنفا ""أنافا" أو "أنفي "... ولقد اشتهرت لحقبة من الزمان بعلمائها وجنودها وتجارتها المزدهرة، كما سميت بالدار البيضاء عند نقل اسم أنفا إلى البرتغالية أصبح يدل على ذلك كما سمية بتادرات وهواسم أمزيغي يعني الدار أو البيت، ينظر :عبد الرحمان بن زيدان : **إتحاف أعلام**، ج3، ص ص: 290 295.

(3) أحمد بن عبد العزيز العلوي : المرجع السابق، ص ص:88-89.

(4) عبد الكريم بن موسى الريفي : **زهر الاكم**، دراسة و تحقيق : آسيا بنعدادة، مطبعة المعارف الجديدة – الرباط، 199 ص40.

*** خناثة بنت الشيخ بكار المغافري :**

والمعروفة بخناتة بنت (بكار) توفيت سنة 1730 م / جمادى الأولى عام 1159هـ فقيهة وأديبة وعالمة وسياسية مغربية، وأول امرأة تتولى الوزارة في المغرب، أحسنت القراءات السبع، عالمة بالحديث، متصوفة، وهي زوج ومستشار المولى إسماعيل ووالدة السلطان عبد الله ، تولت تربية ورعاية حفيدها السلطان محمد بن عبد الله. حين غزا السلطان إسماعيل صحراء سوس سنة 1089هـ/1678م، قدمت عليه وفود العرب من عرب المعقل الذين أدوا طاعتهم، وكان في ذلك الوفد الشيخ بكار المغافري الشنقيطي والد الحرة خناثة التي أهداها إلى السلطان فتزوجها ووصفها الناصري[1]، بأنها كانت ذات جمال وفقه وأدب، وقد استطاعت خناثة أن تتميز وسط البلاط العلوي بحظوتها العلمية والفقهية وبنسبها المغافري، التي تنحدر منه أيضا أم السلطان إسماعيل "للا مباركة"، فتشربت تربية القصر، ففيه تعلمت وتثقفت، يذكر القادري في كتابه نشر المثاني، أن الشيخ أبي عبد الله محمد المكي الدكالي هو الذي كان يصحح لها اللوح الذي تكتبه بيدها لحفظ القرآن[2].توفيت في جمادى الأولى عام 1159هـ ودفنت بروضة الأشراف من المدينة البيضاء بفاس الجديد.كما يمكن القول عنها انها كانت تمهد الطريق لابنها بعلاقاتها مع الجيش الودايا كذلك المشاكل التي تحدث بعد وفاة المولى إسماعيل خاصة مع الجيش عبيد البخاري[3].

خلال سنة 1143هـ بعث السلطان المولى عبد الله ولده الأمير المولى محمد رفقة أمه السيدة خناثة بنت بكار إلى الديار المقدسة، وفي موكبها للحج استقبلت بطرابلس الغرب حين حل بها استقبالا فاخرا خرج فيه للقائهم حاكم هذه الجهة وولده مع لمة من أصحابه وشارك فيه أهل البلد،

---

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية**، تحقيق وتعليق :جعفر الناصري ومحمد الناصري، نشر دار الكتاب الدار البيضاء 1418هـ/ 1997م، **ج**7، ص 125.

(2) محمد الطيب القادري : المصدر السابق، ج 3، ص335.

(3) لطيفة حليم : **بداية دخول المرأة المغربية إلى دار فقيهة** : (ندوة دولية حول تعليم المرأة فاس) : كلية الآداب 1،جامعة ظهر المهراز. 1' 12' 13' أبريل 2002. ينظر أيضا محمد الضعيف الرباطي : المصدر السابق، ص208 / محمد الأخضر مبرز السربون : المرجع السابق : ص243

كما شاركت فيه البحرية الطرابلسية بعدة طلقات من مدافع كبار في التسليم والتوديع، وقد استمر على هذه الاحتفالات مدة إقامتها بطرابلس وكذلك فعل في أوبتهما فقوبلت بحفاوة كبيرة من أهل الحرمين وفرقت هناك على المحتاجين وذوي البيوتات ما يزيد على مائة ألف دينار وأكرمها العلماء ومدحها الشعراء، ومن جملة ما مُدحت به قصيدة للشيخ محمد بن علي بن فضل الحسيني الطبري إمام المقام الإبراهيمي قال فيها[1].

2-بيعته :

بويع المولى إسماعيل بن علي الشريف مباشرة بعد وفاة أخيه الرشيد 108هـ/1664م[2]، وبقى بفاس حتى تنتهي مراسيم البيعة ثم انتقل من فاس إلى مدينة مكناسة[3]، وقد حدد في نشر المثاني تاريخ المبايعة يوم الأربعاء الخامس عشر ذي الحجة عام أثنين وثمانين وألف , وقد المولى إسماعيل إلى كافة المناطق التابعة للمغرب للاعتراف ببيعته على جميع القبائل الخاصة والعامة[4]

كما لمح اليفرني في روضة التعريف أن المولى إسماعيل في بادئ الأمر أمتنع عن المبايعة والخلافة وجعل الضعف وعدم القدرة على مواجهة صعاب الخلافة لوحده تعيق من تحمله لمسؤولية المبايعة هذا ما جعل أهل المنطقة يصروا عليه بالموافقة ولم يبرحوا المكان حتى قبل وعقدوا له البيعة بالسمع والطاعة ومساندته في الخير والشر، وحضر هذه البيعة مشايخ القبائل المغربية، وأعيانها، وشرفائها وعلمائها وصلاحها كأمثال : "**الشيخ عبد القادر الفاسي، والشيخ الحسن اليوسي، ومحمد بن علي اليلالي وأحمد بن سعيد المزكلدي ومحمد بن الحسن المجاصي المكناسي والقاضي الاعدل أبي مدين المكناسي...**"، وقد أشار إلى أن البيعة كانت يوم الأربعاء 16ذي

(1) محمد الطيب القادري : المصدر السابق، ج3، ص335.

(2)Henry de Castries : sources inédites de l histoire du Maroc, dynastie filalienne,2 serie , Archives bibliothèques France , T1 , Ernest leroux , Paris 1909, p 151.

(3) عبد الكريم بن موسى الريفي : المصدر السابق : ص87.

(4) محمد الطيب القادري: المصدر السابق ،ص200.

الحجة عام 1082هـ/1671م ووافق شهر أفريل، ومن الملاحظ أنه ولد في ذي الحجة و بويع في ذي الحجة[1].

وكان يبلغ من العمر ستة وعشرون سنة وذلك حسب ما ذكرنا سابقا في تاريخ ولادته[2]، حيث حضر للبيعة كل أهل المغرب إلا أهل مراكش فإنه لم يهنئه ويبايعه أحد ما إن انهي مراسيم البيعة بدأ ينظم حاله بمكناسة، وقرر الاستقرار بها حيث أنه أعجب بمائها وهواءها خاصة في البساتين[3]، لكن ما إن تولى المولى إسماعيل الحكم حتى نشبت عدة ثورات نذكر أهمها :

أ)– ثورة مراكش :

تعد من أخطر تمرد عرفه المولى إسماعيل وهو في بدايات خلافته، وقد كانت بديات هذه الثورة بتحريض بعض أقاربه المقربين وهم كتالي :

أحمد بن محرز[4] ومعاونة أخيه الحران[5] وباتفاق مع عاماها وعند بيعة المولى إسماعيل طالبهم لذلك لم يستجيبوا له، فحاربهم في أواخر السنة 1082هـ/1671م، فكان انتصار المولى إسماعيل وهروب

(1) محمد الصغير اليفراني : **روضة التعريف**، ص60.

(2) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي : المصدر السابق، ص200.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج 7 المرجع السابق، ص45.

(4) **محمد بن محرز**: المعروف بأبي العباس أحمد بن مراد محرز بن مولاي الشريف مؤسس الدولة العلوية، فهو حفيد مولاي الشريف, وابن شقيق السلطان محمد الأول، والسلطان مولاي رشيد والسلطان مولاي إسماعيل. كان مشهورا بسبب الثورة التي قادها من سوس ضد عمه مولاي إسماعيل الذي كان قبل وفاة سلطان المغرب – آنذاك مولاي رشيد– واليا لفاس ثم بويع سلطانا بها مما تسبب في ثورة شقيقه محمد حران حاكم تافيلالت وخصوصا ابن أخيه أحمد بن محرز الذي رفض البيعة، واستولى على مراكش ونواحيها. استمرت الانتفاضة 15 عاما حتى وفاة أحمد بن محرز في تارودانت في عام 1684 . ينظر : جلول بن قومار : **جوانب من مظاهر العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في عهد المولى إسماعيل (1727/1672م)**: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية –جامعة غارداية – العدد 27–ديسمبر 2016–الجزائر،ص7.

(5) الحران : بن الشريف العلوي أخو السلطام إسماعيل كان قائدا ووزيرا لأخيهما السلطان المولى الرشيد، فلما توفي الرشيد عام 1082هـ حدثته نفسه بالملك مثل بقية أولاد المولى الشريف تارة يعمل لبلوغه وحده وتارة بالتاعون مع إبن أخيه المولى أحمد بن محرز بن الشريف الثائر أيضاً ولما قتل هذا الأخير برودانة (تارودانت) واصل عمله الحران المقاومة بها إلى أقتحمها عليه المولى إسماعيل في جمادى الأولى عام 1098هـ ففر إلى حيث أمن على نفسه ثم أرسل إلى أخيه المولى إسماعيل يطالب العفو فعفا عنه

بن محرز إلى الجبال[1]، وفي سنة 1083هـ/1672م دخل إلى فاس[2]،ناقلا معه ثابوت أخاه مولاي الرشيد.

وكان عليه أن يواجه للمرة الثانية مراكش التي عادت إلى بيعة ابن محرز في 1085هـ/1674م[3]، فالاقاه أبن محرز بجيشه أبي عقبة من وادي العبيد، كانت الحرب دامية بينهم حتى لقي ابن محرز مصرعه، بعدها قام بإخضاع بعض القبائل في ناحيتها (القريبة والبعيدة) منها الشاوية ثم ترك خليفته فيها المولى المأمون[4].

ب)– ثورة فاس :

لقد عقد أهل فاس البيعة لأحمد بن محرز بينما كان يواجه عمه (المولى إسماعيل) وكانت هذه البيعة يشوبها الغموض، حيث قتلوا إبن زيدان العامري[5]، وجلبوا ابن محرز الذي بويع بتازا لكن المولى إسماعيل استرجاعها، كما حاصر مدينة فاس مدة 14شهرا، إلى أن أعلنت المدينة خضوعها واستسلامها له سنة 1084هـ/1673م[6].

ج)– ثورة سوس :

ومنحه أموالا جزيلة أذن له في الرحيل الى الحجاز فرحل إليه بأهله وخدمه وحشمه واستقر به وكانت وفاته به، ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج المرجع السابق، ص45.

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج 7ا لمرجع السابق : ص47.

(2) محمد الصغير اليفرني : **روضة التعريف**، ص 68.

(3Henry de Castries:S.I.H.M ;2Es ;France .T1 ;P437 et et T3 ;P7 /Gaston de verdum :Marrakech des Origine a 1912 ;P467.

(4) إبراهيم حركات : **المغرب عبر التاريخ**، ط2، ج3، نشر بدار الرشاد الحديثة –دار البيضاء، ص ص36-35.

(5) زيدان العامري : قائد من أهل تلمسان ولاه المولى إسماعيل قيادة احد فيالق جيشه، ثم عينه خليفة عنه بفاس وكان مقتله في أيام بيعة المولى إسماعيل وكان مقتله ليلة الجمعة ثاني جمادي الأولى عام 1083هـ، ينظر محمد الصغير اليفرني : **روضة التعريف**، ص 65.

(6) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي : المصدر السابق : ص 280.

هذه الثورة بدأت سنة 1083هـ/1672م توجهت نحو مراكش بقيادة ابن محرز الذي رجع إلى سوس[1] ليحارب عمه حيث نسحب هذا الأخير من درعة سنة 1088هـ/1677م، والتها لمدة وجيزة بحرب الدلائين ثم رجع نحو جنوب سوس سنة 1089هـ/1687م، واستمر في الزحف باتجاه شنقيط دون القضاء على ثورة ابن محرز ثم توجه نحو سوس من جهة مراكش، بعدها عقد الصلح بينهم سنة 1094هـ/1682م.

حوصر ابن محرز رغم مقاومة سوس وفي سنة 1686/1096م، تمكن المولى إسماعيل من اقتحامها ووضع المولى الحرن خليفة له بعد أن من عليه أخوه بالأمان[2].

د)– ثورة الصحراء :

شملت الصحراء التابعة لدرعة شرقا وغربا وجنوبا، ولبعدها لم يهتم المولى إسماعيل بها ,لكن الأمراء الثائرون عن بعد انهزامهم تراجعوا نحوا أعماق الصحراء، وفي سنة 1114هـ/1702م، اندلعت الثورة في الصحراء بقيادة الأمير أبي النصر , فاستولى على درعة بمعية أخيه عبد الملك، فوجه له المولى إسماعيل ابنه المولى الشريف، فأقر الأمن لكن أبو النصر الذي اختفى هذه الفترة عاد بعد عدة سنوات وثار في سوس[3].

ج)– ثورة الأطلس :

---

(1) سوس : "وفي صحراء سوس توجد قبائل عربية بني هلال وغيرهم ,لا يزالون يحافظون على أنسابهم وعلى لغتهم إلى الآن وأما في بحبوحة سوس، فلا يتكلمون فيها بالعربية ألا في أولاد جرار بضواحي تزنيب، وفي قبائل تحيط بتارودات وأما غالب هذه الأسر العلوية الأصل فإنها تشلحت حتى نسيت لغتها، وان أم تنس غيرتها العربية الدينية "، ينظر مقدمة كتاب **إيليغ** قديما وحديثا للفقيه العلامة الوزير سيدي محمد المختار السوسي نسخة محفوظة 13 يونيو 2017 على موقع Wayback Machine

(2) إسماعيل التزراني : **هؤلاء "الأقارب العقارب" الذين ثاروا على السلاطين العلويين**، مجلة هسبريس، 22/يونيو2014،ص3.

(3) جلال يحيى : "**المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب**"، **في** مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب ،بغداد العراق، عدد 3، ص 13.

في هذه الثورة اتفق أنصار الدلائيين [1]بزعامة أحمد بن عبد الله الدلائي وثار في تادلا[2]، اتّخذ أحمد الدلائي من خروج السّلطان إسماعيل من العاصمة وانشغاله بحرب ابن أخيه أحمد بن محرز في مراكش، فرصة اشتعال نار الثورة، فبعث إليه المولى إسماعيل جيشا من ثلاثة آلاف مقاتلا، تحت إمرة القائد يخلف، لكن أحمد الدلائي استطاع هزيمته ونهب محلته وخيله، ثم بعث له فرقة أخرى لقيت نفس المصير وفي مكان يسمى وادي العبيد التقى الفريقان في معركة فاصلة.

كان النّصر فيها للمولى إسماعيل، فالتجأ أحمد الدلائي إلى جبال آيت يسري، وفيها توفي يوم الخميس 21 محرم 1091هـ/23 فبراير 1680م[3].

وبعض الأقاليم المجاورة وفاز على ثلاث فرق بعثها المولى إسماعيل، وجرت عدة حروب بالقرب من مكناس، هذا ما جعل المولى إسماعيل يخوض الحرب بنفسه ضد الدلائيين وتمكن منهم برغم الولاء الظاهر لبعض القبائل، فعزز المدفعية وقام بإطلاق المدافع وتطويق المقاومة وولى بن يشو قيادة آيت وآمالو، ثم استقر في قصبة تيغالين[4]التي تلقى الأمر بالاستيلاء عليها، وقد عمل المولى إسماعيل بتجريد القبائل من السلاح والخيل وهكذا تمكن من إخماد ثورة الاطلس[5].

---

(1)لفظ الدلاء :عربي من جمع دلو أي إناء يستقي به ،إستعمله بهذا المعنى مؤلفين عاشو في الزاوية الدلائية كالحسن اليوسي ومحمد المرابط الدلائي ،ينظر محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ،ص109.

(2) تادلة : أو تادلا : بالنسبة إلى الأولى تادلي , والي الثانية دلائي وتادلا الأولى ناحية بوسط المغرب حيث تلتقي سهول الشاوية (تامسنا قديما) بجبال الأطلس يمر بها نهر أم الربيع، بيها المدينة الشهيرة المسماة قصبة تادلة الواقعة بين مدينة وادي زم ومدينة بني ملال تبعد عن الأولى 47كلم، وعن الثانية 30كلم، وهي من مباني السلطان المولى إسماعيل، ينظر الحسن اليوسي: **المحاضرات في الأدب واللغة**، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي للنشر، ط2، 2006, ج1، ص292.

(3) محمد حجي: **الزاوية الدلائية**، ص 240.

(4) قصبة تيغالين : تقع قصبة "غيلان" التي بُنيت عام 1664 ميلادية على الضفة اليمنى لوادي "الحلق" بطنجة، على الطريق المؤدي إلى "مالاباطا"، شرق المدينة القديمة، حيث ارتبط اسمها بالقائد الخضر غيلان الذي قاوم ضد الاستعمار البريطاني الذي احتل طنجة ما بين 1662 و1684ميلادية وتتوفر القلعة على جهاز دفاعي محكم، هو عبارة عن سورين رباعيّي الأضلاع، ومحصنين ببرجين نصف دائريين وبارزين، تتوسطهما بوابة ضخمة، ينظر محمد بن الطيب القادري، **التقاط الدرر**، ص 134 .

(5) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي : المرجع السابق : ص280.

خلاصة القول : لما توفي الرشيد بلغ خبر وفاته إسماعيل وكان بفاس الجديدة فبويع وهو في السادسة والعشرين من عمره ، ثلر عليه ولد أخيه أحمد لن محرز بن الشريف حيث قدم مراكش طلبا للسلطة، فبايعه أهل مراكش وتقوت شوكته. فجمع المولى إسماعيل جيشه وقصد مراكش يوم الخميس آخر ذي الحجة 1082هـ1671 م التي تصدى له أهلها والقبائل المجاورة من أتباع ابن أخيه أحمد بن محرز.

-كما شق عليه العصا أيضا أهل فاس، فضرب عليها الحصار .وظهر من جديد المجاهد الخضر غيلان، الذي عاد من الجزائر التي قصدها طمعا في مساندة الأتراك له، بعد أن هزمه المولى الرشيد،

- وظهر ثائر جديد، وهو أبو العباس أحمد الدلائي، الذي جمع عليه بعض القبائل الأمازيغية وتمرد بين تادلا وسايس .فوجه السلطان عناصر جيشه إلى تادلا فانهزم جيش السلطان واستولى أتباع الدلائي على تادلا. فوجه لهم عناصر من جيشه فهزم هو الآخر.

المبحث الثالث

أثار المولى إسماعيل (السياسية والعسكرية)

1-آثاره السياسية والعسكرية :

واجه السلطان إسماعيل بعد بسط سلطته على المغرب جملة من الأزمات الداخلية والخارجية واستطاع أن يحقق قدراً جيداً من النجاح في معالجتها وهذا ما جعله أهم شخصية بين الأشراف العلويين وجعلها ميزة تحسب له من آثاره السياسية الداخلية وأثارا أخرى سياسية خارجية نذكرمنها :

أ)– آثاره السياسية الداخلية :

أما في الداخل فإن المهمة الأولى ،كانت تتمثل في فرض سلطة الدولة المركزية وإزالة سلطة الزعامات الدينية (الصوفية منها خاصة) والسياسية ونفوذها.

وأضعاف القبائل النزّاعة دائماً إلى الانفصال، ولاسيما القبائل البربرية منها.هذا ما جعله يوحد المغرب بعد التفكك الذي كان يشوب المنطقة خاصة بعد وفاة المولى الرشيد[1]

وذلك بإخماد نار الثورات التي لاقته في أيامه الأولى لاعتلائه الحكم وكان من بين هذه الثورات كما ذكرنا سابقا (احمد بن محرز –الحران الخضر غيلان، أبو عباس الدلائي، المولى محمد,أحمد الريفي، المولى هشام، أبوعبد الله الخميسي المولى عبد الملك، المولى عبد الرحمان، المولى الكبير، بوعزى الهبري بوحمارة)[2].

وقد مدح القادري صنعه للبلاد والعباد بقوله:«**كانت أيام المولى إسماعيل رحمه الله أيام أمن وعافية للرايح والغادي،والحاضر والبادي عدا من تقدم له أو لآبائه تلصص أو دخول في فتن،فكان عليهم شديدا وخلاصهم منه بعيدا، فقطع بذلك دابر جميع اللصوص وعلت فيها مراتب أهل الجاه والخصوص، كل منزل في محله وكل ذي أصل رجع إلى أصله،فكثرت العمارات في كل موضع،وأخمدت الشّرور،وتتابع الرخاء، وكثر العلماء والصّلحاء، وشمخ ملكه وطلع سعده بالنّصر والتمكين حتى دار فلكه**»[3]، هنا نلاحظ أن المولى إسماعيل عمل جاهدا لتحقيق الأمن والأمان لقومه ووفر الاستقرار والرفاهية مما يجعله يواكب الحضارات الراقية

(1) جلول بن قومار : **علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهد أحمد المنصور السعدي وإسماعيل العلوي (1578–1603) (1672–1727)م،دراسة مقارنة** ، أطروحة دكتوراه في علوم التاريخ الحديث، جامعة غارداية، سنة 2016/2015، ص44.

(2) إسماعيل التزران : المقال السابق:ص3.

(3) محمد بن الطيب القادري : **إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخباروأعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي، ط1، منشورات دار الأفاق الجديدة،بيروت1983 م، ص،ص336، 337.

والمتطورة في زمنه، سيطرت على المولى إسماعيل فكرة سيادة المغرب سيادة تامة وإقامة خلافة إسلامية موحدة، لذلك سعى من البداية جاهدا إلى القضاء على مراكز القوة العسكرية الداخلية, ووجه اهتماماته إلى ضرورة إزالة كل مركز سياسي عدا سلطان السلطنة معتمدا في ذلك أساسا على العبيد البخاري جيشه.

2-آثاره السياسية الخارجية :

كانت سياسة المولى إسماعيل الخارجية تعمل في الشرق على احتواء تدخل الأتراك الحاكمين في الجزائر، الذين استمرت علاقته بهم تترجح بين الهدوء والتوتر، ولم يتحقق له في ذاك الاتجاه نجاح يذكر,كما حاول التوسع في الشرق، فسار إلى تلمسان في اتجاه نهر شلف، إلا انه لقي مقاومة عنيفة من الأتراك، إلى أن وقع الصلح بينه وبين الأتراك: كما استرجع الصحراء وبلاد السودان[1].

كذلك نستنتج على علاقات المولى إسماعيل السياسية والدبلوماسية مع الإسبان كانت متوترة ودائمة النزاع خاصة في جانب السياسي .

بالإضافة إلى قضية المتحاورات في جانب قضية الأسرى[2]. كما اتهج سياسة مغايرة المولى إسماعيل مع رجال الدين المسيحيين، وقد أظهر معهم بعض اللّين والتّسامح في مجال افتداء الأسرى مع معاملتهم الحسنة والراقية خاصة في الجانب المعيشي والصّحي، والسماح لهم بأداء مشاعرهم الدينية في كنائسهم على عكس ذلك في الجهة المقابلة الذي كان يفتقده الأسرى المسلمين في فرنسا أو في إسبانيا أو الدويلات الإيطالية[3].

(1) عمر بن قايد : **اضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م**، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد17، غارداية، 2012، ص145.

(2) جلول بن قومار : المرجع السابق ,ص 108إلى 143ص/ ينظر أيضا :حسن السايح : **"الدبلوماسية الإسماعيلية"**، في مجلة دعوة الحق المغربية، عدد خاص، مارس 1974م الرباط المغرب، ص 186.

(3) عبد الحي بنيس : **"موقف ملوك الدولة العلوية من رجال البعثات الدينية الإسبانية إلى المغرب من خلال الوثائق المخزنية"** في مجلة كلية الآداب بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، العدد 9، 1999م، ص 209.

لم يقف المولى إسماعيل عند هذا الحد فقط بل عرف بنشاطه في دعوة ملوك أوربا للدخول في الإسلام، جاء هذا في كتابات المؤرخ الفرنسي "سان أولون " san oulounبقوله: "... **ويدعو (أي المولى إسماعيل) المسيحيين للدخول في دين الإسلام، وأرسل مكاتيب إلى جل دول أوربا، الأكثر حديثا عنها تلك التي كتابها للويس الرابع عشر – ملك فرنسا– يذكره بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل عظيم الروم، ويدعوه إلى الإسلام**" كما أنه من أكبر البراهين وأوضح الأدلة على ما كان بينه وبين ملوك أوربا من اتصالات ومراسلات هو ما جمعه وكتبه المؤرخ دوكاستري من الرسائل التي تبودلت مع لويس الرابع عشر ملك اسبانيا وغيرهم من الملوك العظام، إلا أن علاقته مع لويس الرابع عشر كانت أقوى وامتن. [1]

فاستحكمت إلى درجة أنه خطب ابنته الأميرة (كونتي) contyوكادت تتم هذه الخطوبة لولا خوف الأمير من الحريم السلطاني الذي يضم مئات غيرها من حوريات الأنس.ويعد السيد الحاج محمد تمم التطواني أول سفير من المولى إسماعيل إلى ملك فرنسا الذي فاوض كلا من الوزيرين الفرنسيين (كولبير دوكراوسي)Colbert de Krause و(سنبلي) .Snible

وعقد معهما معاهدة تعرف بمعاهدة (29 يناير سنة 1682م (وملا قضى السفير نحو ثلاثة أشهر في فرنسا وعاد إلى المغرب وأبلغ السلطان نتيجة سفارته قام مولاي إسماعيل بمخاطبة لويس بما نصه "**أعلم انه بلغنا أصحابنا صحبة كتابك وذكروا لنا خيرك ومباشرتك لهم وشكروا لنا فعلك معهم واستحسنا بروركَ بهم وفرحك بجميعهم فلذاك ينبغي لك أن تكو....**" [2].

2- آثاره والعسكرية :

(1) نقلاً عن أحمد شريبتي : **العلاقات الجزائرية المغربية(905هـ–1194هـ)/(1500م –1780م)**، مذكرة ماستر تخصص حديث ومعاصر، 2015م/2016م، خميس مليانة – الجزائر، ص 18.

(2)نقلاً عن أحمد قسطاس : **العلاقة الدبلوماسية المغربية في عهد الدولة العلوية الشريفة**، في دعوة حق، بالرباط، 1957م العدد 36.

إن حكمت المولى إسماعيل أرشدته إلى تكوين جيش قوي وبفضل قيادته العسكرية، وبفضل جيش جرار مدرب أعظم تدريب ومسلح بأقوى سلاح في ذلك العصر. كان الجيش الإسماعيلي العتيد مؤلفا من آلاف المتطوعين الوافدين على مركز قيادته – مكناسة الزيتون – من جميع نواحي المغرب وخصوصا من العناصر الآتية : الودايا – النار – عبيد البخاري[1]، وهذه الفرق التي سيتم التطرق لها في الفصول القادمة هي التي تحكم في ملكه بها وكانت بدايته حين اخمد تلك الثورات المجابهة لحمه أمثال (احمد بن محرز –الحران الخضر غيلان، أبو عباس الدلائي, المولى محمد، أحمد الريفي، المولى هشام، أبو عبد الله الخميسي المولى عبد الملك، المولى عبد الرحمان، المولى الكبير، بوعزى الهبري بوحمارة) [2].

وما إن سيطر على زمام الأمور واستقر له الحكم حتى بدأ في الجهاد ضد المسيحيين واسترجاع الثغور حيث آنذاك كان الإسبان يحتلون أجواء كبيرة من المغرب فانتهج المولى إسماعيل معهم سياسة المواجهة العسكرية لتحرير الثغور المحتلة، فحررت المعمورة في أفريل 1092هـ/1681م وطنجة 1095هـ/1684م والعرايش 1101هـ/1690م أصيلا 1102هـ/1690م و ضرب حصارا مطولا دام سنوات على سبتة 1695/1694 ثم حصار مليلة[3]. خير عبارة تلخص هذه القضية، ما قاله طوماس بيللو tomase billyeفي مذكراته : "**ويمنك اعتبار شخصية مولاي إسماعيل مزيجا من القسوة والحنان، لذا أصبح رعاياه يحترمونه لتمسكه بالشعائر الدينية من جهة، و يخشون باسه و جبروته من جهة أخرى**"[4].

2-وفاته :

(1) عبد الحق المريني : **الجيش المغربي في عهد أبي النصر المولى إسماعيل قاهر الأعداء**، في دعوة حق، العدد282، الرباط مارس 1991م.

(2) أبو القاسم الزياني : **البستان الظريف**، ص 177.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق، ج7، ص77.

(4) نقلا عن عبد الحق المريني : المرجع السابق : العدد 282.

إن المولى إسماعيل عاش فترة طويلة حتى أن أولاده كانوا يطلقون عليه نعت "**الحي الدائم**"، كما أنه تقلد الحكم في عمر صغير كان يبلغ من العمر ستة وعشرون سنة، وقد ذكر الناصري في الإستقصاء أن الحكم لم يعمر فيه أحد من ملوك الإسلام، سوى اثنين، وهما المستنصر العبيدي[1]، خليفة مصر دامت مدة حكمه ستين سنة، والمولى إسماعيل خلف طيلة سبعا وخمسين سنة[2] عرف عن فترة حكمه بالأمن والاستقرار، والازدهار في جميع المجالات كما اشتهر بأنه حكم بقبضة من حديد.

مرض المولى إسماعيل واشتد عليه الحال في سنة تسعة وثلاثين ومائة وألف 1139هـ وتوفي رحمه الله في الثامن والعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف عن عمر يناهز 83 ثلاثة وثمانون سنة[3] ولما مرض السلطان مولاي إسماعيل أمر بمجيء ابنه أحمد ،من تادلة فقدم وجلس مع والده ثلاثة أيام. ثم وافته المنية رحمه الله يوم السبت سابع وعشرون من رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف كما ذكر من قبل[4]. ولم يعهد لأحد من أولاده ومهما تضاربت الآراء حول هدا الموضوع فإنه لا يوجد أثر لوصية بالعهد من السلطان إسماعيل لأحد من أولاده، لأنه لو كانت سجلها التاريخ[5].

(1) أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم بن العزيز بن المعز لدين الله العبيدي الفاطمي، تولى الخلافة العبيدية (الفاطمية خلفًا لوالده، وهو ابن سبع سنين، في النصف من شعبان سنة 427هـ/ 1036م، وأقام بها ستين سنة إلى سنة 487هـ/1094م ينظر، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي : **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ،16ج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م، ج5، ص03.

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج7، ص99.

(3)محمد الضعيف الرباطي : المصدر السابق، ص98

(4) أبو القاسم الزياني : **البستان**، ص 189.

(5) عبد الكريم الفلالي : ج4، المرجع السابق : ص253.

وتذكر المصادر التاريخية أنه أخذ بنصيحة العالم أبي العباس اليحمدي[1]،وفي السياق نفسه يورد أنه قد "**قيل إنه عندما اشتد به المرض وأحس باقتراب أجله أرسل إلى الفقيه وهو صديقه، ووزيره اليحمدي ليستشيره في من يصلح من أولاده ليعهد إليه من بعده**"،واستنادا إلى المصدر نفسه فقد تردد اليحمدي في الرد على سؤال السلطان وبعد إصرار الأخير أجابه قائلا "**إنه لا ولد لك**"، ورد عليه السلطان "**صدقت والله.**"وفي رواية أخرى يقال إنه حين استدعى السلطان اليحمدي قال له "**إني في آخر يوم من أيام الدنيا، فأحببت أن تشير علي بمن أقلده هذا الأمر من ولدي، لأنك أعرف بأحوالهم مني**"وقد أجابه اليحمدي قائلا "يا مولاي لقد كلفتني أمرا عظيما

الذي قال له : «**أنه لا ولد لك تقلده أمر المسلمين**»، تولى بفرائض الوفاة اللازم علي المسلمين من طهارته وغسله الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي القاسم العميري[2].

وصلى عليه الفقيه العلامة أبو الحسن ابن رحال المعداني[3]، ودفن بضريح الشيخ المجذوب[4].

(1) بن محمد اليحمدي : هو محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد اليحمدي، أبو عبد الله: وزير، من العارفين بالأدب والتاريخ ولد في بني يحمد (بني احمد)– القبيلة الجبلية المعروفة التابعة لإقليم شفشاون والمجاورة لبني مسارة وبني زروال وغزاوة، ورحل إلى فاس فتعلم واشتهر، واستوزره أمير المؤمنين المولى إسماعيل بن محمد الشريف، سنة نيف و1090هـ، فكان الرئيس الاعظم في دولته، وسماه (أحمد) فغلب عليه، ينظر محمد الضعيف الرباطي : المصدر السابق، ص201/ عبد الرحمن بن زيدان: **المنزع اللطيف** : ص261/ : عبد الرحمان بن زيدان : **إتحاف أعلام**، ج4، ص ،ص106، 107.

(2) أبو العباس أحمد بن أبي القاسم العميري : هو الأديب القاضي أبوالقاسم بن سعيد العميري الجابري التادلي المكناسي ولد في فاس يوم الخميس من شعبان عام ثلاثة و مائة و ألف نشأته وتربيته كانت بمكناسة الزيتون في حضن والده، وبعد حياة حافلة بالعطاء العلمي توفي أبو القاسم العميري رحمه الله في جمادى الثانية عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، عن خمسة وسبعين سنة ودفن بضريح أبي العباس أحمد بن خضراء، ينظر رشيد قباظ : **أعلام القرن الثاني عشر الهجري**،في مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، المملكة المغاربية، 07 مارس 2018.

(3) أبو الحسن ابن رحال المعداني : (ت 1140هـ) هو الفقيه الكبير، حافظ زمانه، صاعقة المطالعة والتدريس، أبو علي الحسن بن رحال بن أحمد بن علي المعداني التدلاوي،كانت بداية طلبه للعلم بالزاوية الدلائية،ثم رحل بعد ذلك إلى فاس مكناسة، طمعا في زيادة الطلب والتحصيل، ينظر موقع رابطة العلماء :**ابن الرحال المعدني 110هـ**،في مجلة مغرس، الرباط، 2010/07/30م .

(4) الشيخ المجذوب : المجدوب هو عبد الرحمن المجدوب ابن عياد بن يعقوب بن سلامة الصنهاجي الدكالي المتوفى سنة 976 هجرية، ولقب المجدوب أطلقه عليه أهل زمانه، وبقي معروفا به إلى الآن، نظرا لسيرته في حياته، فكان – كما تصوره كتب

يمكننا أن نلخص القول في حياة المولي إسماعيل هو السّلطان أبو النصر إسماعيل بن الشّريف ولد بسوس عام خمسة وستين وألف للهجرة (1065هـ) الموافق لـ 1654م، يرجع نسبه كما أجمع عليه المؤرخون إلى الأشراف العلويين من سلالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء، موطنهم الأصلي منطقة ينبع من الحجاز، بجانب النسب الشريف تحلى المولى بصفات خلقية وخلقية حميدة جعلته محبوب لدى الجميع حتى منافسيه من الأجانب ذكروا خصاله الحميدة وهذا إن دل فانه يدل علي مناهله ذات النبع السليم التي أساسها الدين الإسلامي، وعلماء عصره وزمانه جعله يتفرد في خصاله وصفاته.

وصل المولى إسماعيل إلى حكم المغرب في ظروفا سياسية صعبة، بسبب ما خلفه التنافس على الحكم بين أخويه المولى محمد والمولى الرشيد من آثار سياسية، وأن يضع حدا لثورات الأمراء، وبالتالي للمحاولات الإنفصالية المتسمرة مثل صراع الدلائيين وتمردهم على السّلطة القائمة بظل هؤلاء الأمراء كذلك استطاع أن يوحد المغرب تحت سلطته ويحقق لشعبه الأمن والاستقرار، ولم تقف جهوده هنا فقط بل ذهب حد تخليص عدد كبير من الثغور واسترجاعها من المستعمر الأجنبي.

حيث عرفت علاقاته مع أوربا عامة واسبانيا خاصة الصراع والتوتر السياسي والدبلوماسي، وتمثلت هذه المرحلة في العمليات العسكرية التي قام بها في سبل تحرير الثغور المغربية المحتلة، وما نتج عنها من العمليات الجهادية وكانت النتيجة تحرير الثغور مثل المعمورة في أفريل 1092هـ/1681م وطنجة 1095هـ/1684م والعرايش 1101هـ/1690م أصيلا 1102هـ/1690م تحرير سبتة ومليلة من خلال الدعم الفرنسي بالإضافة إلى مرحلة الصراع والصدام العسكري بين الجزائر وسلطان المغرب المولى إسماعيل، الذي حاول خوض معارك طاحنة مع الجزائر في الحدود الشّرقية للمغرب وذلك ليضمن عدم تقدم المد العثماني للبلاد بل طمح في التقدم نحو الشرق وكانت حلم الخلافة

التاريخ – صوفيا زاهدا في الدنيا، وساح في البلاد للوعظ والإرشاد والتصريح بما ينفع العباد، ينظر **القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب**، تصنيف وشرح نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية – الجزائر، ص94.

الإسلامية وشرعيته النسب العلوي أحق به من التركي العثماني، وهذا التفوق في جميع النواحي سواء السياسية الدبلوماسية والعسكرية كان بفضل الجيش الذي أسسه وكونه ودربه المولى إسماعيل.

هذا ما يجعلنا نتساءل :

كيف كانت بدايات تكوين هذا الجيش ؟ وما هي إنجازاته ؟

المبحث الأول

فرق الجيش في عهد المولى إسماعيل

تولى المولى إسماعيل حكم المغرب سنة1082هـ/ 1672م في وقت كان فيه العرش العلوي في حاجة ماسة للتوطيد الاستقرار فأدرك السلطان ذلك ومارس سياسة مزجت بين القوة تارة، والمهادنة تارة أخرى. واهتم بإنعاش الاقتصاد وتحرير الثغور وإقامة علاقات متكافئة مع دول أوربا فإلى أي مدى استطاع السلطان إسماعيل المحافظة على مركزه في السلطة وضمان استمراريته في الحكم ؟

1- تكوين وحدات الجيش الإسماعيلي :

في العهد العلوي، ظهر نظام جديد أدى إلى انقسام المملكة إلى ثلاث مقاطعات عسكرية :

تافيلالت ومراكش وفاس وأصبحت مقاطعة فاس، مركز قيادة الجيش المغربي بعد مكناس في العهد الإسماعيلي، كان المتطوعون بعشرات الآلاف يتوافدون من شرق البلاد وجنوبها للدخول في الجيش الإسماعيلي المحكم وظهرت نواته الأولى في المغرب الشرقي، والودايا من الجنوب، واحواز الرباط والشراردة والعبيد المرابطين بمكناس، والتحق إلى هذه المناطق من سوس وعبدة والمنابهة[1] والرحامنة وأولاد احمر والى جانب هؤلاء العسكر المرابطين فرق من المخازنية لحماية السلطان ومساعدة الباشوات ،اذ كان عمال المدن يهتمون بالجنود والحاميات المرابطة، في منطقة تواجدهم وكما يظهر أن المغرب، قسم آنذاك إلى سبع جهات يزيد عددها وينقص في ناحية فاس وحدها، ويوجد من الخيالة ثلاثة آلاف من شراقة، وألفان اثنان من الأوداية.[2]

وأربعة آلاف وخمسمائة من شراردة وكلهم ينتمون إلى القائد، وبقية الرجال من مختلف القبائل والحواضر كانوا خاضعين لقانون التجنيد العام، أما الغاية من تأسيس هذا الجيش هو مواجهة الفتن

(1) المنابهة : قبيلة عربية كان موطنها الأصلي بالصحراء الغربية ونزحت منها بطون إلى الشمال، منها قبائل مندمجة اليوم بقبيلة الرحامنة قرب مراكش، ينظر لمحمد الصغير اليفراني : **روضةالتعريف**، ص 114.

(2) عبد الحق المريني : **الجيش المغربي عبر العصور**،المكتبة والمطبعة العالمية، الرباط 1406هـ 1986م، ص، ص: 51، 52.

في كل ناحية من النواحي[1]. وقد أقام المولى إسماعيل في هذه الجهات، معاقل فيها ثكنات يتراوح عدد جنودها بين أربعمائة وثلاثة آلاف ووقدر عدد الحصون بستة وسبعون غربي البلاد وشمال الأطلس على وجه الخصوص، وقد ورث العلويون بقايا الجيش المريني المؤلف، من عرب جشم والخلط وسفيان زد على ذلك بني معقل ،الذين أدخلهم السعديون في الجيش بالحوز، لحماية قبائل بني هلال ومنذ عهد السعديين قسم الجيش، وتمركز في المعاقلة بالأطلس وزعير في أعلى وادي أم الربيع وبني حسن وقد أضاف المولى إسماعيل إلى عناصر آهل سوس من بني جرار، وأولاد مطاع، وأولاد زرارة والشبانات من القبائل العربية[2].

عناصر الجيش الإسماعيلي[3] :

1- جيش المشاة :

وصل عددهم 25.000 جندي، وكانت الوحدة العسكرية مشتملة على صفوف قبائلية وأخرى من عامة الناس. وكان الصف القبلي يقدر ب 3000 فرد والصف العادي 500، وكان هذا الأخير يترأسه قائد "الرحى" «ولهمساعد. وكانت الرحى مجزأة إلى دوائر : ويقدر عدد جنود هذه الدوائر العسكرية مائة رجل يقودها "قائد المائة"أي القبطان. وتشكل المائة إلى فرق تتكون كل واحدة إلى 12 رجل يراسهم "مقدم "ضابط الصف. ويلتحق إلى جيش المشاة بعض المتبرعين لدعم صفوف هذا الجيش عند مواجهة ظرف متأزم.

2- جيش الخيالة :

يبلغ عددهم 10.000 وكانت كل خيولهم مستعدة للانطلاق. وكان لكل فرس عاملان أما الوحدات العسكرية من الخيالة متفرعة إلى صفوف. وكل صف يضم 600 فارس. ولم تكن الفرقة

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج 4، المرجع السابق، ص206.

(2) نفسه :ج7، المرجع السابق، ص103.

(3) الجيش الإسماعيلي : سمي نسبة إلى مؤسسة السلطان إسماعيل وسمي أيضا بعبيد البخاري أو العسكر البخاري.ينظر : الزياني، **البستان** ، ص 171.

العظيمة تظهر إلا في حالة وجود خلل في صفوف المشاة. وفي حالة الأمن تجد هذه الجيوش تقوم بدور فرسان التي تحافظ عن الأمن العام في المراكز العسكرية[1].

ومقابل هذه الخدمة ألا وهي نشر الهدوء والطمأنينة في البلاد تقديم من كل مربي للخيول فرسا لكل جندي يحقق هذه الخدمة السامية في جيش الخيالة[2].

3- جيش الرماة الطبجية :

كان عدد هذا الجيش يتراوح ما بين 3000 و4000 رجل يتمركز جلهم في فاس وفي المغرب الشرقي. وهؤلاء الجنود يجيدون استعمال المدافع والمجانيق والكور والقنابل وآلات الحصار. ومن المهم إن نذكر بان هذه الجيوش عند فتحها للعرائش" وضعوا المينات تحت خندق صور المدينة الموالي للمرسى ثم أوقدوا النار وسط جانب من السور واقتحم الجند، المدينة، كما استعملوا المفرقعات التي كانوا يصنعونها بأيديهم في حصار المدن الشمالية".[3]

4- المخازنية :

وهم عبارة عن الحرس الملكي الذي كان يتكون 4000 من العبيد و300 من الفرسان. وتهتم مجموعة منهم بمهمة تحصين المدن وحمايتها من أي خطر خارجي. ولم يكن الديوان معمم

على كافة الجيش إلا على جيش العبيد وأهل السوس الذين كانوا يمثلون العنصر الأساسي في الجيش الإسماعيلي. والدليل على ذلك بأن أسماؤهم وحياتهم تسجل في سجلات خاصة. أما بالنسبة للسعديين كان لهم سجلات عسكرية لأن المولى إسماعيل اطلع على دفتر فيه أسماء العبيد الذي

---

(1) عبد العزيز بنعبد الله : **معطيات الحضارة المغربية**، ط3، نشر وتوزيع الكتب العربية الرباط 1963، ص106.

(2) عبد الحق المريني : المرجع السابق، ص98.

(3) العرائش : تقع في الجهة الغربية لنهر لوكوس، كانت في القديم متجر من متاجر الفنقيين والقرطاجيين، ثم أصبحت مستعمرة رومانية وفي العهد الإسلامي صارت قرية صغيرة تعرف بالعرائش بني عروس ثم نزل بيها البرتغال وعمروها،ثم إخلادهم المنصور الذهبي سنك 986 هو في سنة 1019 سلمهم إياها محمد الشيخ المأمون للأسبان إلى أن أخرجهم مولاي إسماعيل ينظر عيد الرحمان ابن زيدان، الاتحاف، ج2، ص72.

اخبره به عمر اعليليش الذين كانوا في جيش احمد المنصور الذهبي وكانوا متمركزين في مراكش واحوازها وقبائل الدير فجمع منهم 3000[1].

2- جيش الودايا وجيش العبيد البخاري :

أ)–جيش الودايا :

كانت بداية عظمة المولى إسماعيل عند نهاية أحمد بن محرز على عكس ما كان يعتقد البعض بأن عظمته تتمثل في الجيش الذي نظمه بعد انتهاء السلطان من حرب ضد ابن أخيه، رأى وقتها بأنه في حاجة ماسة إلى إعادة تنظيم جيشه والزيادة في عدد جنوده، نظرا لأنه قد فقد الكثير من رجال جيشه في الحروب شرقا وغربا، وعليه فانه أراد أن يجمع رجالا من غير سكان البربر اللذين كانوا غير أوفياء له، ولذا عليه أن يزيد في عدد جيشه رجال من بين العرب[2].

وعن جيش الودايا فقد جاء في كتاب "البستان الظريف" عندما كان المولى إسماعيل يقيم بمراكش[3] .

فجمع من وجد من رجالها، ونقلهم إلى مكناسة، ولقد أحسن السلطان إليهم وأكرمهم ،وعين لهم بجوار قصبته ،محلا معروف بالرياض[4] وقائدهم على أبي شفرة ،وقائد اللذين بفاس، ولده محمد [5].

(1) عبد الحق المريني : **القوام العسكري في الحضارة المغربية**،في مجلة المناهل، المغرب، العدد 12 .

(2) عبد الكريم الفيلالي : المرجع السابق، ص137.

(3) مدينة مراكش : مدينة مغربية وهي إحدى دول شمال إفريقيا الخمس ويقابل موقعها في شمال الغربي من افريقيا موقع مصر في الشمال الشرقي منها، ينظر عبد المجيد بن جلول : **هذه مراكش**، مطبعة الرسالة، ط1، القاهرة 1949، ص1.

(4) الرياض : من بناء مولاي إسماعيل ويوجد خارج باب زين العابدين وقد عين هذه القصبة لأحواله الأودية. ينظر، عبد الكريم بن موسى الريفي، المصدر السابق، ص205.

(5) أبو القاسم الزياني : البستان، ص 149.

ويتألف جيش الودايا من مقاتلين محترفين أختارهم المولى إسماعيل من قبائل بدوية عربية، وقام بإنشاء هذا الجيش ليعوض به السند القبلي المفقود، ضف إلى ذلك يقوم السلطان إسماعيل بتجريد القبائل من الخيل والسلاح لكي يضمن عدم التمرد المعهود .ويمكن القول بأن توطيد سلطانه راجع فضله إلى أصله العلوي الشريف ذا المكانة الرفيعة في المغرب لهذا قام بتأليف جيشين قويين وهما جيش الودايا[1] وقد شكل جيش الودايا درعا سياسيا واجتماعيا لمكانة خناثة داخل نظم الدولة قبل وحتى بعد وفاة السلطان، لأنه كان يستشيرها في كل صغيرة وكبيرة لهذا وصفت خناثة بالوزيرة الخاصة للمولى إسماعيل[2].

يعتبر جيش الودايا من أمثل هذه الدولة الشريفة وهو ينقسم إلى ثلاثة أرجاء : رحى أهل السوس رحى المغافرة، ورحى الودايا ،ويطلق على جميع الأرجاء ودايا ،فمن أهل السوس أولاد جرار وأولاد مطاع وزرارة والشبانات[3] وكلهم ينتسبون الى عرب معقل ،وكانوا فالقديم جندا للدولة السعدية، وأما المغافرة سنتعرف فيما بعد عن صلتهم بالمولى إسماعيل ومصاهرتهم له .وثالثا يأتي الودايا فيعود سبب جمعهم وانخراطهم في الجيش انه عندما فتح المولى إسماعيل مدينة مراكش الفتح الثاني وأزاح ابن محرز عنها أقام بها بضعة أيام ،فجمع من وجدهم من رجاها وجاء بهم إلى مكناسة الزيتون دار الملك ومقر الخلافة كما سبق وذكرنا[4].

عمل المولى إسماعيل على توطيد دولته وسعى للحفاظ على الأمن والاستقرار بها، وهذا ما تجلى في تكوين قوة عسكرية قوية من القبائل التي أظهرت الولاء له، ومنها قبائل الودايا، وهي قبيلة كما جرت العادة توالت عليها سلاطين المغرب بدءا من المرابطين الذين اعتمدوا على القبائل

(1) محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري الولاتي : **الحسوة البيسانية في علم الأحزاب الحسانية**، تحقيق ودراسة حماه الله ولد سالم، ط1، دار الكتب العلمية ،2006، ص251.

(2) نفسه ، ص249.

(3) الشبانات : هم عرب قبيلة المعقل بمراكش، زعيمهم عبد الكريم بن القائد بن أبي بكر الشيباني، يعرف عند العامة بكروم الحاج، دخل مراكش ودعا لنفسه الحكم فبايعه الناس سنة 1069هـ/1659م، ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، الجزء7، ص109.

(4) نفسه، ص ص51، 52.

الصنهاجية، والموحدون ،اعتمدوا على القبائل المصمودة، وتفرقت قبائل الودايا بعد سقوط وتفكك الدولة السّعدية ودخل المغرب الأقصى في فترة فوضى، ومن هنا رأى المولى إسماعيل ضرورة جمع شتاتهم من جديد[1].

وقد تكونت وحدات الجيش الاسماعلية من الطبجية أي رجال المدفعية، والذين كانوا يرابطون في فاس وفي المغرب الشرقي، وكانت وحدات الجيش تستعمل المدافع التي كانت تصنع في المغرب بعد تذويب النحاس،ثم سلاح المنجنيق وآلات الحصار وقد استعمل الجيش الإسماعيلي السلاح الناري[2].

ب)–جيش عبيد [البخاري] :

يعتبر جيش عبيد البخاري من أهم الفرق العسكرية، ويرجع أصل التسمية التي أطلقها عليه المولى إسماعيل اسم عبيد البخاري[3] وقد تم تجنيدهم للدفاع عن الحكم ومحاربة المعارضيين له، ويتالف هذا الجيش من النواة وهي جيش عبيد البخاري ثم يتفرع منه جيش هائل العدد وجيد التدريب، ويتكون جيش عبيد البخاري، من ثلاثة فرق رئيسية وهم : عبيد البخاري، وهم القوة الأساسية، ثم قبائل الكيش[4] وهذه الأخيرة دورها ثانوي مقارنة بعبيد البخاري ،ثم الفرق المجندة من المدن والقبائل والمجاهدين، ولعب هذا الجيش دور الانكشارية في جيش الدولة العثمانية، وكان دور هذا الجيش متمثل في تقديم الولاء للسلطان، وحماية جباية الضرائب، ومراقبة الطرق التجارية، والدفاع عن الدولة من المتمردين والأعداء داخل وخارج الوطن.

(1) محمد الفاسي : المرجع السابق، ص، ص :12 ،13.

(2) عبد العزيز بن عبد الله : **الجيش المغربي عبر العصور**، المطبعة والمكتبة العالمية، الرباط 1986م، ص ص52، 53.

(3) عبيد البخاري : نسبة ليمين الطاعة الذي كان الجيش يؤديه على كتاب الإمام البخاري، وتكونت نواته الأولى من 2000 جندي من الزنوج، ينظر عبد العزيز بن عبد الله : المرجع السابق، ص 1، ولتوسع أكثر ينظر، محمد الحيمر : **الجيش الدخيل في الدولة الإسلامية، جيش العبيد والانكشارية العثمانية محاولة في المقارنة**، أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف المودن عبد الرحمان، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط 2001.

(4) قبائل الكيش : والصحيح قبائل الجيش حسب لسان الدارج المغربي قديما. ينظر عن هذا الجيش، مجهول : **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، ترجمة للفرنسية هوداس، باريس 1901، ص 31.

مقابل الحصول على امتيازات، وقدر عدد هذا الجيش بمائة وخمسين ألف مقاتل[1] (سنتطرق لهذا الجيش بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه المذكرة).

3- جيش الشراردة وجيش النار :

أ)–جيش الشراردة :

ينحدر هذا الجيش من قبائل الغرب التابعة لجهة الغرب الشراردة بني أحسن، وهي مواطن مدينة سيدي قاسم، وتحدها شرقا قبيلة حجاوة، وجنوبا قبيلة بني أحسن ،وشمالا قبيلة بني مالك، ويجري وادي سبو[2] في أراضيها الشمالية من الشرق إلى الغرب فاصلا بينها وبين قبيلة بني مالك، وأصل قبيلة الشراردة قديما هو حوز مراكش، وقد نقلهم المخزن من هناك إلى هذه الأراضي الحالية واستقروا بها مع باقي القبائل المحلية الأصلية. وهؤلاء الشراردة أصلهم من عرب معقل من الصحراء وهم طوائف، زرارة والشبانات، وكانت الشراردة تشكل إلى جانب الأودية والمغافرة فرقة من ذوي حسان، عندما تولى السعديون الحكم، دخل الشبانات ومن ضمنهم الشراردة والأودية وأهل سوس من معقل في طاعتهم ،وصاروا يكونون نواة جند هذه الأسرة وحمايتها العسكرية.

وقد ظلت هذه القبائل مجتمعة في إقليم سوس ،تحظى برعاية الدولة، وظلت مستفادة من الامتيازات التي أكرمها بها سلاطين هذه الدولة طيلة القرن 10هـ/16هـ إلى نهاية حكم الدولة السعدية فافترقت هذه القبائل واتجهت فرق منها إلى الشمال ومع نهاية القرن 11هـ/17م كانت الشبانات ومن ضمنها الشراردة تقطن في احواز مراكش في وئام تام مع الأودية[3].

(1) أبو القاسم الزياني : **الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**، ترجمه للفرنسية هوداس، المطبعة الوطنية، باريس، 1882م، ص 16.

(2) وادي سبو : يبعد عن مدينة فاس بحوالي 7 كلم على الطريق الرابط بين فاس وتاونات، ينظر عبد الكريم بن موسى الريفي : المرجع السابق، ص 140.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج3، ص161.

وعندما دخل السلطان المولى إسماعيل العلوي مدينة مراكش سنة 1088هـ/1676م كون جيش وأطلق عليه اسم الشراردة وكتبهم في الديوان وأمرهم بالتضييق على بني يزناسن أنصار الأتراك[1]

ب)–جيش النار :

هذا الجيش يتكون من أربعة آلاف من الأندلسيين وألف خمسمائة من الزواويين ،وأربعة آلاف من الأوربيين القائمين بشواطئ المغرب تحت قيادة القائد علي بن عبد الله الريفي ،قائد السلطان على بلاد الهبط،[2] وتالف هذا الجيش في حدود 1510م من قبل القائم بأمر الله كان الجيش الشريف يتشكل من عناصر ذات أصول مختلفة، وتتكون نواته من قبائل جزولة ومعقل إلا أنه ومع التوسع الجغرافي للمملكة تنوعت أجناس الجنود، وهكذا بدا ظهور الأندلسيين والعلوج في تشكيلات جيش السلطان الشريف بقيادة الشيخ المهدي ليلعبوا دورا بارزا في الجيش الزيداني وفي عهد عبد الله الغالب كانت كل عصبية تشكل فرقة مستقلة مثل جزولة والأعراب والأندلسيين والعلوج وزواوة والحراطين والعبيد والأفارقة. وفي عهد عبد المالك المعتصم كان الأندلسيين والعلوج لهم الأفضلية على بقية التشكيلات وأصبحوا العناصر الأقوى في الجيش الشريف.

كما كان الأندلسيون يتحصلون على امتيازات في حي منفصل هو رياض الزيتون في مراكش والقطاعات مع الحفاظ على رواتبهم الفصلية[3].

يعود أصل استعمال الزنوج لأول مرة كجنود في المغرب الكبير هم الاغالبة زمن إبراهيم بن الأغلب الذي جند عشرة آلاف ضمهم إلى جنده، أما "عمر بن قاسم اعليليش "المراكشي جاء

---

(1)أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج3، ص161.

(2)بلاد الهبط : هي منطقة جبلية في شمال المغرب بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي وتتواجد جميع السواحل الجنوبية لمضيق جبل طارق شمالها تسمى كذلك بجبالة وكان ذلك في هد الملوك العلويين حيث أصبحت مدينة شمال المغرب تحت اسم جبالة وذلك لطبيعتها الجبلية، ينظر محمد الطيب القادري : **التقاط الدرر**، ص134.

(3) عبد الحق المريني : المرجع السابق، ص97.

بفكرة استقاها من "أبي محمد عبد الله الغالب "الذي طبقها على مهاجرة الأندلس سنة 970هـ/1562م حيث أمر هذا الأخير بجمع، آهل الأندلس ،الذين جاءوا غالى المغرب.

وصاحب هذه الفكرة العظيمة "سعيد بن فرج الدغالي" الذي يقطن بقرية بجبل غرناطة، وأخيه احمد فتوجه إلى تطوان، ونزلا على عظيم دولة الأغالبة "الحسين بن أبي بكر "وأقنعه بجمع الأندلسيين وفعلا تم ذلك فقام الدغالي بتجول في المدينة في بلاد المغرب، وجمع الأندلسيين ترغيبا وترهيبا. وسجلهم في الديوان، أربعة عشر ألفا 14000 ثم نقلهم إلى مراكش، وسمي بجيش النار وصار "الدغالي" قائدا عليهم[1].

(1) أبو القاسم الزياني : **البستان**، ص 350.

المبحث الثاني

تحرير الثغور

لقد توصل المولى إسماعيل إلى أن مصدر سقوط الدولة السعدية ونهاية حكمهم، كما جرى للوطاسيين قبلهم، هو عجزهم على تحرير المدن الساحلية التي استولى عليها البرتغاليون، وانه لا أمان بعدم تحرير تلك المدن من العدو الغاشم الذي سيستولي على المدن الداخلية متى سمحت له الفرصة، والوسيلة الوحيدة لنشر الأمن والاستقرار بها، هو تكوين جيش منظم ومحكم مرهوب الجانب وهذا ما نجح فيه السلطان المولى إسماعيل، ماهي المدن الساحلية التي تحررت في عهده ؟ وماهي خطته الإستراتيجية في الحرب ؟

1- سياسة المولى إسماعيل الحربية :

استطاع المولى إسماعيل أن يستمد قوته العسكرية من العبيد وقد ساعده ذلك في مواجهة الأسبان عسكريا ،ونجح في ذلك من خلال تحرير المدن التي كانت تحت وطأة الأسبان بالقوة، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يصفونه بالدموي، وحتى أبناؤه لم يسلموا من هذه الصفة "كمحمد العام" الذي خرج عن طوعه ،لقد واجه المولى إسماعيل اسبانيا عسكريا ،فقام بفتح المهدية يوم 11 ربيع الثاني 1092هـ/30 ابريل 1681م وبعدها توجه إلى العرائش وحررها سنة 1689م[1] وقام بأسر المئات من الأسبان، وغنم أربعين مدفعا وبفضل هذا التشدد الذي ظهر في سياسة المولى إسماعيل الخارجية مع عدوه الأسبان سواء في معاركه أو في افتكاك الأسرى ورغم انتهاجه سياسة القوة مع الأسبان إلا أن المولى لم يتمكن من تحرير كامل الأراضي المغربية التي كانت محتلة والدليل على ذلك أن بقاء سبتة ومليلية بقيت تحت الاحتلال الاسباني رغم محاولات التحرير المتكرر[2].

(1) عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ج 9، ص 105.

(2) جلول بن قومار : المرجع السابق، ص158..

أما بالنسبة لجيوشه الكثيرة العظيمة فقد كانت على نظام محكم يرهب العدو ،ففي الفاتح من المائة الحادي عشر أصدر السلطان إسماعيل قرارا ينص على جلب الفتيان الذين بلغوا العاشرة لتعليمهم الصنعة والحرف اليدوية وعند بلوغهم الثالثة عشر أدخلهم إلى الخدمة العسكرية ويكسوهم ويمدهم بالسلاح ويعلمهم فنون القتال راجلين وعند بلوغهم الرابعة عشر يزودهم بالخيل دون سروج حتى يتعلموا الكر والفر، وألزمهم تعلم الرماية وركوب الخيل وفنون القتال، وعند بلوغهم السادسة عشر يسجلون بالديوان بعد إجراء بعض الإجراءات عليهم وهكذا يصيرون جنودا. وكان المولى إسماعيل هو الذي يشرف على استعراضهم بنفسه فكان يأتي بالمشاة من جهة والفرسان من جهة أخرى إلى أن تلحق جميع فرق جيشه. وكان المولى إسماعيل يحفظ كل أسمائهم ويدفع لكل واحد منهم راتبه بيده، وبلغ الذين تدربوا على هذه الطريقة 150.000[1].

كانت جيوش المولى إسماعيل يشكلون شكل هلال عند وقوفهم بساحة المعركة فيقترب الفرسان ويقومون باستفزاز العدو وينفذ المشاة والرماة الهجوم وهؤلاء الدين يجيدون الحرب الهجومية أكثر من الدفاعية. امتاز المولى إسماعيل القائد الأعلى لجيوشه بمهارة حربية عالية في رد الهجومات ونصب الكمائن للعدو وهذا ما جعله يحتل شهرة واسعة كالقادة الفاتحين الكبار أمثال إسكندر ونابليون.

كان المولى إسماعيل يستخدم حتى طبيعة الجو لصالحه فمثالا كان يستفسد من الرياح بتوجيه الخيل نحو جهة العدو.

وهذا ما ظهر في توجهه نحو جبال "فازاز" لاقتحامها اظهر قوة كبيرة في سياسة التطويق واستخدام قوة النيران المدافع، لما اعد السلطان إسماعيل لنهوض إلى البربر سنة 1104هـ .[2]

(1) عبد الرحمان ابن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص131.

(2) نفسه :ص 132.

اعد القبائل وجهز الجيوش وهيأ المدافع والمهارس والمجانيق وسائر آلات الحصار وأمر الجيش بتحديد[1] موعد للحرب وكل هذا يظهر المهارات الحربية التي امتلكها المولى إسماعيل والتي ساعدته في إرهاب عدوه بالعدة والعتاد[2].

وقد عرف الجيش في عهد المولى إسماعيل تنظيما جديدا وألبسة جديدة وألقاب جديدة أطلقت على فرق الجيش آنذاك، وكل هذا التجديد ناتج على ما أخذه المنصور من الأتراك العثمانيين وما أضافه على جيشه من الاعلاج والأعاجم وهذا ما أكسبه مكان رفيعة في تنظيم الجيش[3].

2- تحرير المهدية 1681م وطنجة 1681م :

أ)-تحرير المهدية :

تقع المهدية أو ثغر الحلق كما يطلق عليها البعض، عند مصب وادي سبو ،ويرجع تأسيسها إلى الموحدين وليس إلى المهدي الشيعي ، إلا أن المؤرخين يختلفون حول مؤسسها بين عبد المؤمن بن علي ويعقوب المنصور، وأطلق اسم المعمورة منذ تأسيسها نسبة إلى الغابة القريبة منها. والمهدية تقع على بعد 9 كلم إلى جنوب مدينة القنيطرة .وعلى بعد 32 كلم شمالا غرب سلا. احتلها البرتغاليون سنة 921هـ/1515م ثم دخلت تحت النفوذ الاسباني سنة 1022هـ/1613م وبعد محاولة استرجاعها مع مجموعة من المجاهدين فاستعصت عليهم[4].

اختار المولى إسماعيل عمرو بن حدو الريفي قائدا للجيش لأنه أكثر قواده شجاعة وإقداما، وأمره بالدخول إليها فخيموا عليها على القبيبات والفندق وهذين الجهتين كان فيهم ذخائر النصارى، ولماشاهد المسلمون رايات وإعلام الفوز والنصر رفعوا الإعلام للسلطان ليعلمهم بالطريقة

(1) عبد الكريم الفيلالي : ج 4 المرجع السابق، ص 137.

(2) عبد الحق المريني : المرجع السابق، ص99.

(3) عبد الكريم الفيلالي : ج4، المرجع السابق، ص138.

(4) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي : المصدر السابق، ص ص :30 ، 302.

التي سيكون عليها الفتح ،فجهز القائد جيوشه وانطلق من عاصمته يوم الاثنين وتوجه بجيوشه من الرباط إلى المهدية ،عشية يوم الثلاثاء وخيم بمنطقة "بأم السمر" وفي صبيحة يوم الأربعاء سار بنفسه وبدا برمي السهام بنفسه، فاضيق الأمور على النصارى[1].

استسلم النصارى للقائد ،وفتحوا المدينة وخرج القسيسون يطلبون السلم لنصارى المتبقيين فاستجاب لهم السلطان ودخل في نفس اليوم للمهدية وهو الحادي عشر، ربيع الثاني عام ألف واثنين وتسعين، وتم فتحها عند صلاة الجمعة يوم الأربعاء من عام 1092هـ الموافق لافريل 1681م وبعد معارك طاحنة وصلت البشرى للمولى إسماعيل بالفتح، ويقال انه أعطى للجندي الذي ابلغه الخبر السار بتحرير المهدية ،مائة قطعة من الذهب[2]،وذكر الكاتب أحمد بن عبد العزيز العلوي في كتابه الأنوار الحسينية عن تحرير المهدية : أن المولى إسماعيل مهتم بفتح الثغور وتحصينها، وأول هذه الثغور وهي المهدية، وعندما استحواذ السلطان على هذه المنطقة وتحديدا المغرب الوسط والأقصى، فبدا بتجهيز جيوشه من المسلمين وإفساد خطط عدو الدين وهم النصارى، والجهاد في سبيل الله ،فبعث قائدا له من مقر سلطانه وذلك يوم الخميس ،وزوده بالخيول والأسلحة والذخائر ،ورؤساء الجيوش ،فمشى القائد مع جيوشه، يوم الجمعة وفي صبيحة يوم السبت توجه نحو المعمورة لنصب فخ للمشركين ومزاحمتهم، فدخل إلى منطقة تدعى "الفندق" فبقي الجيش بها يوم وليلة ولما دخلوا لهذه المنطقة، بعثوا للسلطان مبعوث فأرسل المرسول خبرا لدار السلطان يوم الأحد، ويوم الاثنين سار نحوهم الأمير نصره الله، ووصل إلى تلك المنطقة يوم الثلاثاء فقام بمقاتلة الأعداء بنفسه، ويوم الخميس تم بإذن من الله فتح المهدية ،رابع عشر ربيع الثاني عام 1092م[3].

(1) عبد الرحمان ابن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص 136، ص137.

(2) أحمد سالم علي : **العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر**، في مجلة كان التاريخية، سبتمبر 2011، العدد13، ص25.

(3) احمد عبد العزيز العلوي : المصدر السابق، ص 90.

ب)–تحرير طنجة1091 هـ/1681م :

طنجة هي مدينة عظيمة، وذلك راجع لتعدد عمرانها وبناءاتها الواسعة، وتنوع حضارتها وأجناس خصوصا جنس الروم التي ذاعت شهرتها، تم فتحها في الإسلام ،ثم سلبها البرتغاليين من أيدي المسلمين سنة سبعين وثمانمائة ،بعد قتال كبير، لما استولى عليها البرتغاليون من سبتة في جيش جبار، ولما أدرك المسلمون انه لا مفر من هذا القدر المحتوم تنازلوا لهم عليها ،وبقيت في أيدي البرتغاليين وأهدوها للانجليز سنة أربع وسبعين وألف، ولازالت في أيديهم إلى أن تاريخ فتحها من طرف المولى إسماعيل ،ومن قبل هذا الفتح العظيم فتحها "عقبة بن نافع الفهري "بعد الخمسين من الهجرة ويطلق عليها طنجة البيضاء. كان لأحد ملوكها ثلاثون ألف عسكري، وتبعد عن القيروان بألف ميل وقد تداول على أرضيها البربر والإشراف والعرب.[1]

إلى أن زحف إليها البرتغاليون وبقيت في أيديهم طيلة مدة حكم ملك بني وطاس ،والملوك السعديين، إلى أن حررها ووحدها المولى إسماعيل[2].

وكان دخول هذه المدينة قبل أواسط ربيع الأول سنة 1095هـ/ أوائل مارس 1684م من طرف القائد عمرو بن حد "البطوئي"، وعند دخول الغزاة إليها وجدوها خالية نظرا لمضايقة المسلمين لهم فبدا الفاتحين بتشييد سورها أول جمادى الأول من عام خمسة وتسعين. ولما علم السلطان بفتحها، توجها إليها المسلمين فاشتد الحال على الكفار ففروا في سفنهم بعدما خربوها، فبنى علي بن عبد الله ما خرب من سورها ومساجدها ،واستحوذوا على كل ما فيه أوامر السلطان سكان غمارة[3] بجلب مدافعه النحاسية إلى مكناسة[1].

(1)أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، االمرجع السابق، ج 4، ص 98 ص110

(2)نفسه : ص 110.

(3) غمارة : من قبائل مصمودة بشمال المغرب، كانت تمتد من جبل العلم شمالا إلى واد ورغة جنوبا ثم إلى المحيط الأطلسي غربا، حيث كانت تحد من أصيلة إلى آنفا في الجنوب الغربي. وقد تقلصت هذه الحدود حاليا إلى الجنوب الشرقي من مدينة تطوان. وتزعم العامة أنهم عرب غمروا في الجبال فسموا غمارة .ينظر محمد الضعيف الرباطي، ص173.

أطاح المسلمين بكفار مدينة طنجة التي كانت تحت ايدي الانجليز وسلبوا منهم قصبة بسبعة أبراج وبعد ذلك استسلمت طنجة لحصار الجيش المغربي الجرار لعدة شهور بزعامة عمرو بن حدو البطوني ودام الحصار بقيادة علي بن عبد الله الريفي إلى غاية إخراج القوات العسكرية الإنجليزية من المدينة، وكان ذلك في 1095هـ/1684م وتم ترحيل كل السكان الذين أتوا بخيلهم ومستلزماتهم معهم وتم دخول الجيش المغربي للأراضي طنجة بالأكيد في ربيع الثاني من سنة 1095هـ الموافق لـ18 مارس 1684م[2].

وجاء عن حصار طنجة وتحريرها في كتاب المنزع اللطيف ان القائد "عمرو بن حدو "المذكور سابقا سارا بجيوشه العظيمة إلى ثغر طنجة بعد الأمر الذي تلقاه من السلطان ونفذه بالحين وبلا ترددفادخل هذا القائد مدينة طنجة تحت حصار شديد إلى حين الاستلاء على حصن "مارشان" وهدم أبراجه متينة البنيان ،وضرب أسوارها ثم ولى وتركها تحت حصار القائد "علي بن عبد الله الريفي "وتوجه إلى مكناسة فيقال بأنه مات بها رحمة الله عليه، فمنهم من قال مات مسموما ومنهم من يقول غير ذلك تعددت الأسباب والموت واحد ،فدفن هذا القائد بجانب ضريح المولى "عبد الله بن حمد" خارج باب البرداغيين وهو احد أبواب مدينة مكناسة، وبعد مراسيم دفن هذا القائد الشجاع ولى السلطان في مكانه القائد "علي بن عبد الله الريفي "فأصبح خليفة على غمارة، وتطوان، والقصر الكبير، ونظرا لوفاء هذا القائد وسع له مهاما في الايالة، فوضع "علي بن عبد الله الريفي" الفتح شغله الشاغل وقام بتشديد الحصار على، فوجه هذا القائد نداء أهل فاس من علماء وإشراف ومرابطين إلى الجهاد في سبيل الله، وذلك يوم الأحد السادس من محرم فاتح العام حارب المسلمون النصارى،حتى استولوا على كل ما فيها من ذخائر وغنائم وهذا ما عوضهم على الخسائر التي أحدثها الكفار بطنجة[3].

(1) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي : المرجع السابق، ج1، ص305.

(2) محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله اليفراني : المصدر السابق، ص 306.

(3) احمد ابن زيدان، **المنزع اللطيف**، ص137، ص138.

وقد ذكر الضعيف الرباطي في كتابه ما نصه : « **في أول ربيع النبوي أخذت طنجة من يد النصارى عفوا للمسلمين – يقصد عنوة – تركها النصارى بعد أن هدموا دورها وهربوا عنها وكان أخذها على يد القائد علي بن عبد الله،يوم الجمعة أول يوم من ربيع الثاني عام 1095هـ/ 1684م**»[1]، قد تبين لنا من خلال هذا النص، كيفية فتح المغاربة للطنجة وكيف قام الإنجليز بالتخلي عنها بدون مقاومة رفض أي باستسلام كامل.

3– فتح مدينة العرائش في سنة1110هـ/ 1699م وأصيلا في سنة1111هـ/ 1700م :

أ)–فتح مدينة العرائشفي سنة 1110هـ/ 1699م :

ثغر العرائش منذ استحواذ الاصبنيول عليه بتنازل من طرف الشيخ ابن المنصور السعدي لهم، وإخراج المسلمين منها الذي منعوا من حراستها والمحافظة عليها، إلا أن تبين لهم خطة جهنمية لاسترجاعها، وبعد حفر خنادق تحتها أسوارها، الواقع في جهة المرسى فعمروها بالبارود فسقطت أسوار المدينة، ومن تم وقعت حرب عظيمة، وبعد هذه الواقعة فر الكفار إلى البساتين ولبثوا بها يوما وليلة، إلى أن فزعوا فخرجوا منها مستسلمين وقبل الاستيلاء عليها قدر عدد النصارى بيها ثلاثة آلاف ومائتين ،فقام المسلمون بأسر ألفين منهم ومات منهم حوالي اثني عشر مائة، فأمر السلطان إسماعيل بعتق أميرهم فقط والباقي يبقون أسرى، واستبشر المسلمون بهذا التحرير نهى السلطان عن انتعال السباط الأسود ومنع سائر شعوب المغرب بعدم ارتدائه ،وشرع لبس السباط الأصفر تعويضا عنه، لان الناس لبسوا السباط الأسود تأسفا على دخول العدو إليها، وذلك يوم الرابع من رمضان عام تسعة عشر وألف[2].

لقد تمكن المولى إسماعيل بعد عمليات عسكرية ناجحة شنها على خصومه والتي ساعدته على السّيطرة من الجزء الأوسط من سلطنته، فقد كان يستوجب عليه أن يسرع باستحواذ على بقية الأقاليم المغربية وأن يعمل على تحرير ثغور المغرب من الحكم الخارجي، خصوصا وأن القوات

(1) محمد الضعيف الرباطي : المصدر السابق، ص67.

(2) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي : المصدر السابق، ج 1، ص ص: 305، 306.

الإنجليزية كانت تحتل طنجة كما أن القوات الإسبانية تحتل سبتة ومليلة والمهدية والمعمورة والعرايش وأصيلة، وكان وجود هذه القوات الأجنبية على أرض الإسلام تشكل خطر كبير للمغاربة وكذلك للمولى إسماعيل نفسه ولأهمية مدينة العرايش بالنسبة لإسبانيا، فقد نجحت في احتلالها بعد وفاة المنصور سنة 1610م وتمكنت من هذه المدينة الإستراتيجية التي كانت تعتبرها تساوي إفريقيا كلها[1]، وفي هذا ذلك قال الناصري في كتابه الاستقصا «**ومن ذلك مدينة العرايش فإن النصارى استولوا عليها من يد السلطان محمد الشيخ بن المنصور الذهبي ولم يزالوا بها إلى أن أخرجهم مولاي إسماعيل رحمه الله فبعث لها جيوشه وحاصروهم نحو أنهم حفروا حفائر وشحنوها بالبارود فوقعت ملحمة عظيمة ثم فرّ الكفار للبساتين وأقاموا بها يوما وليلة فدخلهم الخوف فخرجوا منها صاغرين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين...**» [2].

لقد استمر الحصار لهذه المدينة حوالي خمسة أشهر تقريبا بزعامة القائد احمد بن حدو وهذا ما دفع الأسبان للاختباء بحصن القبيبات، الذي بناه احمد المنصور الذهبي، في حين قام المغاربة بتلغيم جوانب السور من جهة الميناء بعد ذلك تمكن المغاربة من الفتك بالنصارى الذين أرادوا أن يحدثوا ردة فعل ضدهم، وبهذا الفتح المجيد استرجعت مدينة العرائش في 18 محرم من سنة 1101هـ الموافق لـ نوفمبر 1689م[3]. ومما جاء في كتاب الأنوار الحسينية حول فتح العرائش ما نصه : بان قصة فتح العرائش بعدما حصرت هذه المدينة العظيمة بأمر من المولى إسماعيل بقيادة ،زعيم الجيش مدة ثلاثة أشهر ونصف بالتقدير، وتم حصارها من خلال نصب كمين من طرف عساكر الجيش الذين قاموا بحفر تحتها وحشوا تحتها البارود ،ولما عمل البارود عمله وهو الإطاحة بأسوارها، دخل المسلمون وقاتلوا أعداء الدين وأعداء الإسلام، وهكذا استولوا على الذخائر التي قدرت بـ اثنان وعشرون من

(1) جلال يحي : **المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب**، في مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد العراق، العدد3، ص13.

(2) محمد داود : **تاريخ تطوان**، تقديم وتحقيق محمد بنونة، معهد مولاي الحسن 1959م، المغرب، مج 1، ص 258.

(3) إبراهيم حركات : ج1 المرجع السابق، ص 47، ص48.

النحاس، والباقي من الحديد، وبعد ما حصلوا على غنائم لا تعد ولا تحصى فرح المسلمون وأميرهم اشد الفرح ودخل الرعب قلوب الكفار في البر والبحر ،لان المسلمون دخلوها بالقوة واستلبوها من العدو بكل أريحية وشجاعة وبتاريخ ثمانية عشر من محرم عام 1111هـ/1699م. استرجاع وتحرير هذه المدينة التي دنسها المشركون[1].

وعندما فتحت مدينة العرائش بناها أهل الريف وعمروها وأمرهم السلطان بتشييد عليها مسجدين وحمام وقلعة وطالب السلطان بنقل هؤلاء الأسرى غالى مقر ملكه مكناسة ،فبعث النصارى بسفير لهم إلى أمير المؤمنين يترجاه إطلاق سراح مائة أسير فشرط عليهم السلطان تسريح خمسمائة من المسلمين وإعطائهم خمسة آلاف من الكتب، ولما لبوا نداء السلطان أطلق سرح الأسرى الذي طالبوا به ولكن النصارى توهم لهم بان فتح العرائش كان صلحا وطالبوا بالنظر في القضية من الناحية الشرع فأمر السلطان القاضي "أبي عبد الله "المكنى أبا مدين السويسي النظر والفصل في هذه القضية من الناحية الشرعية المحمدية فسمع القاضي النداء وألف كتاب بهذا الخصوص، وتوصل العلامة "أبي العباس بن احمد الله السجلماسي "أن فتح العرائش كان بالقوة وبالسيف وليس كما يزعم أعداء الدين وهكذا فصل فالأمر بإذن الله تعالى[2].

ب)–فتح آصيلا سنة 1700م :

تعتبر مدينة آصيلا المغربية من أقدم المدن المغربية القديمة، وأحد أقدم المدن المحصنة في منطقة الشمال الغربي، على محيط الساحل الأطلسي، يطلق على المدينة عدة أسماء مختلفة منها أصيلة، وارزيلا، وأصيلا، ويعود تاريخ إنشائها إلى 1500 قبل الميلاد، وسكنها في بداية نشأتها الامازيغ قبل ان يدخلها الفينيقيون القرطاجيون ثم تحولت إلى قلعة رومانية واسموها زيليس.

(1) احمد بن عبد العزيز العلوي : المصدر السابق، ص 93.

(2) عبد الرحمن ابن زيدان : المصدر السابق، ص 140–ص141.

واحتلها البرتغاليون عام 1471 ولكن تخلى عليها جون الثالث نتيجة أزمة اقتصادية لحقت بالبلاد عام 1549م.

واحتل البرتغاليون أصيلا سنة 876هـ/1471 م وعن ذلك قال الناصر يما نصه : «**لما فرغ المجاهدون من أمر العرايش عمدوا إلى أصيلا وحاصروا النصارى الذين هم بها سنة كاملة وأظنهم الإصبنيول، إلى أن بلغ بهم الحصار كل مبلغ فطلبوا الأمانوركبوا من الليل سفنهم ونجوا إلى بلادهم ودخل المسلمون المدينة فملكوها وذلك سنة 1102هـ/1691م**[1].

وبعد تحرير العرايش سنة 1690م تم محاصرة مدينة أصيلا التي كانت تحت الاحتلال الاسباني مدة سنة[2].

انتقل المجاهدون إلى أصيلا بعد ما تم تحرير العرائش كما أسلفنا الذكر فبدءوا بمحاربة الأسبان مدة سنة كاملة حتى ذاق الأمر بهؤلاء الكفار طالبين العفو والأمان فاستجاب لهم المسلمون بأمر من السلطان وفروا ليلا إلى سفنهم نحو بلدانهم[3].

4- محاولة فتح سبتة في سنة 1695/1694م :

احتلت المدينة يوم الخميس 15 جمادى الثانية سنة 818 هـ/21 أوت 1415 م حين دهمها الملك البرتغالي جان الأوّل بجيش ضخم، فكانت بذلك أوّل أرض تستعمر في المغرب،وقد أظهر المولى إسماعيل رغبة قوية، وطموحا كبيرا في تحرير مدينة سبتة من قبضة الأسبان،فقام بالتعبئة العامة في البلاد وكوّن جيشا خاصا لهذه المهمة، بلغ عدد أفراده خمسة وعشرين ألف مقاتل.

وبدأ حصارها سنة 1694م و1695م، ولم يكف السّلطان في محاولاته إلى حين وفاته[4].

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : لمرجع السابق، ج7، ص77.

(2) إبراهيم حركات : المرجع السابق، ج 1، ص 47، ص48.

(3) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي : ج 1، المصدر السابق، ص313.

(4) Chantal de la Véronn :Sources Européenne du L histoire du Maghreb, in Philologique Annuaire ,1967.1968 , Année 1968,pp 509,510.

وفي سنة ستة ومائة وألف أمر، السلطان الباشا "علي بن عبد الله الريفي"، والقائد "أحمد بن حدو" بحصار سبتة وذلك يوم الأحد سابع عشر صفر، فتوجها في جيش محكم التنظيم، وكثير العدد حيث قدر عدده بخمسة وعشرين ألف مقاتل ناهيك عن المتطوعين،نصبوا عليها المدافع والمهاريس فحبسوا أنفاس أهلها وضيقوا عليهم فدام هذا الحصار سنين طويلة إلى أن أصدر المولى إسماعيل لعلي ابن عبد الله أن يتوجه لثغر بادس بالريف فلبى القائد نداء السلطان وقصدها في جيش قوي دون الجيش الذي في سبتة.[1]

ولما رجع القائد لحصار سبتة وبقي محاصرا لها حتى وافته المنية، فخلف السلطان مكانه ولده أحمد فسلم له كل المهام التي كانت في يدي والده،فنهض لحصار سبتة في همة كبيرة واستعداد وعندما ازداد الخناق على الانجليز اعتنق الكثير منهم الإسلام، وحين ذلك قام السلطان باستبعاد ملكهم كارلوس واستخلاف مكانه فيليب، فوجه هذا الأخير جيشا كبيرا نحو سبتة، ولما وصل للسلطان الخبر جهز جيشا ضخما من جيشه العبيد المدربون على المهارات الحربية[2].

وعندما وصلوا إلى سبتة والتقوا بجيش النصارى زاحفا على الجيوش الإسلامية، وعند اشتعال فتنة بين المسلمين استغل النصارى الأمر لصالحهم.

فاستحوذوا على موقع القائد "علي بن عبد الله" فخربوا وسرقوا مكامن المسلمين، وقاموا بتشديد الحراسة عليها وذلك سنة ثلاثة وثلاثين ومائة وألف[3].

ولما سمع السلطان تلك المصيبة أمر من شعبه مساندة إخوانهم في هذه المحنة والوقوف بجانبهم في ساحة المعركة ،فهزموا النصارى اشد هزيمة.

(1)احمد ابن زيدان، المنزع اللطيف، ص143، ص144.

(2)نفسه :ص144

(3)نفسه :ص 144.

واستولوا على كل ما سلبوه منهم حيث تمكن المسلمين من قتل ما يقارب ثلاث آلاف قتيل وبقيت سبتة في الحصار إلى أن مات السلطان المولى إسماعيل رحمه الله[1].

وكان القتال فيها دائم لا ينقطع ليل ونهار ومع كل هذا لم تفتح مدينة سبتة رغم محاصرتها أكثر من مرة[2].

ولقد رأينا في هذا العرض الموجز الشوط البعيد الذي قطعه مولاي إسماعيل في تحرير الثغور الأسيرة في الحدود البحرية و وسط البلاد جميعا، ووقفنا على مدى نصيبه الموفور من النجاح في ذلك المسعى الجليل.

(1)احمد ابن زيدان، المنزع اللطيف:. ص 145.

(2) محمد الأخضر : المرجع السابق، ص 82.

المبحث الثالث

المعدات العسكرية

قام المولى إسماعيل العلوي، بتقوية الوحدات العسكرية المغربية وأعاد اليها المجد، وبفضل هذه الجيوش قام بإرهاب الأعداد واسترجاع الكثير من الثغور التي استعصى فتحها من قبل عهده، واستطاع أن يجعل المغرب بلدا عزيزا منيع الحصن والبنيان، زاخرا بالبروج المتينة والقلاع المشيدة، والقصبات المكينة والقصور الراقية وبالرغم من أن المغرب ،قد عرف في عهد الأسر الحاكمة السابقة، كالمرابطين والموحدين والمرنيين والسعديين، نظام الحصون والقصبات التي كان دورها منحصرا في الدفاع عن حدود البلاد الخارجية وعن رد هجومات القبائل، إلى أن نظام القلاع الذي سنه المولى إسماعيل كان يكتسي طابعا جديدا. فماهي المعدات التي جهز بها جيشه لكي يصبح بهذه القوة ؟.

1- الأبراج والقلاع والقصبات الاسماعلية :

أ)-الأبراج والحصون :

البرج هو عبارة عن حصن مربع الشكل في وسط السور أو بعيدا عنه والبرج أنواع كثيرة مثل برج المنارة وبرج الحمام المكنى بحصن مانزاغان، أو الجديدة بالبريجة ويبدو أن هندسة البرج الأندلسية، قد ظهرت في تصميمات البرج المغربي منذ عهد المرابطين مع بعض الظواهر المحلية الأطلسية ومواد بناء هذه الأبراج والحصون في عهد المرابطين هي الحجارة الطبيعية العادية ثم أضيفت الحجارة المنقوشة وهو الخرسانة أو الطابية التي هي مشيدة في أبراج وحصون الرباط[1].

– برج الخنزيرة : هو برج صقالة بالرباط بني في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

– برج الدار : تم بناؤه في قصبة الاوداية من طرف عبد الرحمن بن هشام عام 1239هـ/1824م.

(1) عبد الله السويسي : **تاريخ رباط الفتح**، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط 1399-1979م ص113.

– برج الذهب : مقر الملك في باحة المدينة بفاس الجديد حيث يشرف على استعراض الجند واستقبال الوفود كوفد المالي الذي جاء إليه عام 762هـ.

– برج سينار : يوجد هذا البرج في القصر الصغير[1].

– برج الشيخ : "المهدومة أو الجديدة" ويطلق عليه في القديم برج الشيخ[2].

– برج الصراط بالرباط : بني عام 1189هـ/1876م على يد العلج احمد الإنجليزي.

– برج القلالين بتطوان.

– برج مرتيل.

– برج النجمة "بتطوان"[3].

5– الحصون : هي القلعة أو البرج وتتداول هذه الكلمة خصوصا في الأندلس، ولقد شيد ملوك وسلاطين المغرب البعض منها.

– حصن الجنويين : يقع أسفل العرائش على الشط الأيسر لنهر لكوس.

– حصن ذكوان قرب مالقة : شيد هذا الحصن في عهد بني مرين.

– حصن الفتح : تم بناء هذا الحصن المنصور السعدي بثغر العرائش ويعتبر هذا الحصن ثاني حصن.

– حصن الفرج.

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج2، المرجع السابق، ص199.

(2) عباس بن إبراهيم السملالي : **الإعلام بم حل مراكش واغمات من الإعلام**، تحقيق عبد الوهاب ابن المنصور ،المطبعة الملكية الرباط، ط2، 1413هـ-1993م، ص79.

(3) محمد داود : **تاريخ تطوان**، مراجعة حسنة محمد داود، الجزء 4، ط1، مطبعة الخليج العربي –تطوان-2009، ص48.

– حصن القبيبات : يقع هذا الحصن قرب مدينة العرائش اختبأ به الأسبان عدة شهور وتم آسر ألفين منهم ونقلوا بعد ذلك إلى مكناسة في أوائل عام 1101هـ/1689م[1].

ب)–القلاع :

تختلف القلعة عن القصبة وإنما غايتهما واحدة، فكلاهما يسعيان إلى تحصين المدينة من خطر العدو، ولكن القلعة تمتاز بميزة خاصة وهي اقرب لجهاز الدولة من جهاز الشعب أو القبيلة على عكس.

القصبة ومثال على هذه القصبات "قصبة ادخسان" في الشعاب الشمالية للأطلس، و"اكوراي" مهمتها مراقبة الأطلس الأوسط، وقلاع "تادلة "و"حميدوش"الواقعة على مسافة ثلاثين كلم من مدينة "آسفي"و "بوالاعوان" 60 كلم من "و"آزمور" و"مديونة" 20 كلم من الدار البيضاء. وكل القلاع التي شيدها السلطان المولى إسماعيل كانت عبارة عن فندق أو نزل تقيم فيه القوافل وعابرى السبيل للقضاء الليلة فيه مع إقامة حاميات تتسع للاستقبال عن ما يزيد مائة فارس[2].

ويقدر القلاع التي تم بنائها من طرف المولى إسماعيل، ستا وسبعين قلعة، وهي موجودة ومشيدة ومعروفة تسر الناظر إليها ويتم التعرف عليها من طرف العام والخاص[3].

وفي عهد المولى إسماعيل حطمت القلاع أرقاما قياسيا التي شيدت الأحكام جهاز الدولة وأيضا حراسة أماكن النفوذ للمدينة، ومن أسباب تشييدها أيضا تلبية رغبة "احمد المنصور" التي ابلغ بها القاضي عبد ا"لواحد الحميدي". وهذه القلاع هي كما يلي :

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، اج4،ص34.

(2) نفسه ، ص29.

(3) أبو القاسم الزياني : **البستان**، ص171.

1- قلعة رقادة : أقيمت لمواجهة بني يزناسن في عام 1089هـ/1678م وتراس عليها القائد العياشي بن الزرغر ومعه 500 جندي.

2- قلعة العيون التابعة للقلعة الأول وعلى رأسها نفس القائد.

3- قلعة ملوية.

4- قلعة وجدة.

5- قلعة تاوريرت وفي كل واحدة 500 جندي.

6- قلعة وادي امسون :تحت قيادة منصور بن الرامي التي تم إسناد كل المهام في هذه النواحي.

7- قلعة الكوربا : تحتوي على مائة عائلة.

8- قلعة المهدية : بنيت عام 1092هـ/ 1681م وبها 500 جندي.

9- قلعة الجديدة : 500 جندي.

10- قلعة تازة : 2500 جندي[1].

11- قلعة فازازا : وفاتحها هو يوسف بن تاشفين عام 454هـ/1092م وهذه هي التي تم غزوها من طرف السلطان إسماعيل عام 1104هـ/1692م بجيش جرار مجهز بالمدافع والمهاريس والمجانيق وآلات الحصار.

12- قلعة القصابي : بناها المولى إسماعيل ،سنة 1096هـ/1684م عندما أراد قمع ثوار ملوية وجهزها بأربع مائة فارس.

13- قلعة قصر بني مطير :وهذه القلعة أيضا بنيت في 1096هـ/1684م.

14- قلعة كور :بنيت سنة 1091هـ/1680م وانزل بيها مائة فارس.

15- قلعة كيكو : بناها المولى إسماعيل في وادي كيكو عام 1096هـ/1684م.

16- قلعة مسون : بناها المولى إسماعيل 1092هـ/1680م بوادي مسون بمحاذاة القلعة القديمة وانزل بها مائة فارس.

(1) عبد الكريم الفيلالي : المرجع السابق، ج 4، ص147.

17- قلعة وطواط : بناها المولى إسماعيل سنة 1096هـ/1684م[1].

18- قلعة مرتيل : بنيت بأمر من السلطان إسماعيل بيد الباشا احمد بن علي بن عبد الله عام 1032هـ/1719م[2].

يعد المولى إسماعيل من أكثر السلاطين الذين بنيت في عهدهم القلاع وهذا ماهو مشهور به السلطان إسماعيل، فقد بنا ما يقارب سبعين قلعة عسكرية، وقد تم تشييد هذه القلاع في أماكن إستراتيجية ما بين تازة وتارودانت، وتقدر المسافة بينهما حوالي مسيرة يوم. والغاية من بناء المولى إسماعيل لهذه القلاع، رد على الهجومات المسلحة وخاصة القوية منها، وقد دعمها بأسوار عالية وأبراج مجهزة بالمدافع ،لتصدي لأي هجومات خارجية. والقصبة تحتوي على محلات لتخزين الأسلحة ومسجد للصلاة وساحة يقيم فيها الجند وتحوي هذه الساحات "3500 جندي كأكثر تقدير"[3].

ومن جملة القصبات سالفة الذكر القائمة إلى اليوم قلاع "اكواري" و"تادلة" و"مديونة" و"سلوان"بالشمال لمنع الهجومات على "مليلية" وكانت هذه القصبات مجهزة بأبراج مربعة أو مستطيلة الشكل وكانت تعلو على كل واحدة منها رايات حمراء[4].

ت)– القصبات الإسماعلية :

كانت القلعة تشبه بواحات الصحراء التي على أثرها بني السلطان إسماعيل قلاعه ونظم عساكره وعددها ست وسبعون جديدة زد على ذلك محصنة في المدينة وخارجها وللقصبات ثلاثة أنواع :

– سلسلة الأولى : في بني يزناس بتادلا "الأطلس الأوسط".

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الجزء : المرجع السابق، 4، ص29، ص234.

(2) محمد داود : **تاريخ تطوان**، المرجع السابق، مج 2، ص49.

(3) عبد الحق المريني : المرجع السابق، ص100.

(4) نفسه، ص 100.

– سلسلة الثانية : توجد على طول طريق المملكة من تازة إلى وجدة ومن مكناس إلى فاس ومن فاس ومراكش إلى تافلالت ومن مكناس إلى مراكش ومن مراكش كذلك إلى تارودانت والغاية منها حماية ومراقبة منشآت الدولة.

– سلسلة الثالثة : تقع قرب المدن لإقامة العبيد المحيطة بمكناس[1].

ومن بين القصبات التي بناها المولى إسماعيل :

– قصبة العيون : تقع بين "وجدة" و"تاوريرت" بنيت عام 1092هـ/1679م أسسها مولاى إسماعيل.

– قصبة مكناس : تم بناؤها من طرف المولى إسماعيل وشيد فيها جامع "قصر النصر" وإقامة أيام خلفه أخيه المولاى الرشيد وبنى بجانبه كذلك "الجامع الأخضر" عندما أصبح جامع القصبة لا يتسع للمصلين وجعل للقصبة عشرين بابا وعلى كل باب من الأعلى "برج" مجهز بالمدافع والمهاريس وفي القصبة برك مائية مزودة بزوارق للنزهة ومخازن للطعام تتسع لكل زرع اهل المغرب وبجانبها سواقي من الماء مبنية من الأعلى ومن فوقها برج مستدير لوضع المدافع بداخله، ويحوي القصبة أيضا على اصطبل لحجز خيله وبغاله تحتوي الاسطبلات على 12.000 فرس ثم بستان طوله فرسخ وعرضه ميلان ويتخلل الكل أزقة وشوارع[2].

2– الخيم والخيول والفيلة :

أ)–الخيم :

وهي عبارة عن بيوت يقيم فيها الإعراب المتنقلون وتتكون الخيمة الوبر أو الصوف وأحيانا من الحجارة الخفيفة للوقاية من الحر أو البرد. وفي المغرب كانت الخيم لا توجد أبدا أو نادرة وهذا قبل أن ينقل المنصور الموحدي عرب افريقية عام 584هـ/1188م إلى المغرب الأقصى.

(1) محمد داود : المرجع السابق، مج 1، ص217.

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق ،ج4،ص25.

وتطورت أسماء الخيم ،فسميت خباء أو فسفاطا وصار لها تنظيم خاص وخصوصا خلال خرجات الجيش السلطاني التفتيشية أو الحربية التي وصلت إلى حدود السودان. وعرفت الخيم في عهد المرنيين وأمر السلطان أبو سعيد المريني عام 729هـ/1328م بتشييد بلد المسمى الخيم على سبتة[1].

ب)–الخيول :

تمثل الخيل دورا بارزا في أجهزة عسكر الخيالة لقيامها بدور هام في الجيش المغربي ولذلك اهتم السلاطين والملوك بتربية الخيول، ووصف " Jean Mokue " الخيل بالمغرب من خلال رحلته للمغرب (1601م/1607م) (1010هـ/1016هـ) وذكر بأنها أجمل أفراس العالم، ويقدر عدد الخيول السلطانية في عهد المولى إسماعيل باثني عشر ألف فرسا كلها من الجياد ولكل فرس خادمان ،وكل فرس مربوط في قوس وبين فرس وفرس عشرون شبرا[2].

ت)–الفيلة :

الفيل الموريطاني أو المغربي هو الفيل القرطاجي، وهو الفيل الذي كان يعيش حرا في جبال الأطلس ولم يستعمل قط في الحرب، وقد عرف الفيل بالمغرب، سنة 1007 هـ .

وهو العام الذي دخل فيه الفيل إلى مدينة فاس ولذلك سمي بعام الفيل وخرج للترحيب بها مائة ألف من آهل فاس، وعندما استولى احمد الذهبي على السودان جلب إلى المغرب عددا من الفيلة[3].

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: المرجع السابق ج1،ص166.

(2) عبد الرحمن بن زيدان : **العز والصولة في معالم نظم الدولة**، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ/1961م، ج1، ص147.

(3) مجهول : **تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية** : تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، مطبعة دار تينميل مراكش 1994م، ص70.

3- الأعلام والسلاح والبارود :

أ)- **الرايات** : كانت الراية المغربية في القديم تتكون من اللون الأزرق والأحمر والأبيض ،وعلم تطوان (الأحمر والأبيض والأخضر) يشبه العلم الجزائري، أما العلم الوطني المغربي إلى غاية 1870م/1287هـ اخضر اللون يحتوي على ثلاثة أهلة بيضاء بينما كان علم المغرب الخاص بالحرب والتجارة إلى غاية عام 1334هـ/1915م لونه أحمر كله، والعلم الرسمي للمغرب من سنة 17 نوفمبر /1334هـ/1915م أحمر اللون ذو خاتم خماسي أخضر وكانت الراية المغربية تنصب في المناسبات الرسمية وهذا يدل على رمز الدولة المغربية[1].

وجاء في كتاب (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) مانصه : "**نشر رايات الكفرة منكسة في أعلى منار القرويين ومنار جامع الكتبيين بمراكش ليعاينها الحاضر والبادي وذلك بعد الانتصار على المسحيين في الأندلس وكان مصحوبا بجماعة من صلحاء المغرب عام 674هـ/1275م**" وجاء في نفس الكتاب ان الراية البيضاء للاستسلام[2].

أما بالنسبة لملوك المغرب فإنهم كانوا يرفعون العلم النبوي، في رحلاتهم ويحملون أيضا نسخة صحيح البخاري ويتم حمل العلم فوق السرير السلطاني، وإعلام مولاى ادريس تنصب على ضريحه وعندما يكون السلطان ذاهبا لاستقبال الوفود اخرجها المكلفون من الضريح ورفرفوها عاليا أمامه وتسمى هذه العادة بـ"علامة مولاى ادريس". وكما جرت العادة فان هذه الحركة انتقلت للعلويين فأصبح المكلفون يحملون الرايات في عهد ملوك العلويين في المناسبات والأعياد الوطنية والدينية إمام جلالة الملك وهذه العادة تقام تبركا بالمولى إدريس وعرفانا بديمومة العهد العلوي منذ حوالي اثني عشر قرنا بالمغرب[3].

---

(1) يوسف مناصرية : **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847**، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر ،1990، ص54.

(2)نقلا عن محمد بن أبي شنب : المصدر السابق ، ص ص174، 157.

(3) عبد الرحمن ابن زيدان : المرجع السابق، ص138، ص382، ص165.

ب)–السلاح :

أول الأسلحة التي استعملها المغاربة ألا وهي الحجارة، وهذا كان في العصر الحجري الذي دام طويلا، حيث أن الإنسان لم يكن يعرف الحديد والبرونز والنحاس، ثم استعمل الحراب وبعدها الخناجر، أما أن بالنسبة لأسلحة الدفاع التي كانت مستعملة ضد الحيوان وبسبب انها مصنوعة من جلد الفيلة كانت سريعة التلف بمجرد تعرضها للمطر، وأول من قام بصنع الأسلحة النارية بساحة القصر الملكي بفاس الجديدة وهو احمد الوطاسي وذلك سنة (916هـ/1553م) ومن ضمن هذه الأسلحة المدافع والبنادق والبارود[1]، وتم بناء معملا يسمى (دار العدة) بجانب القصبة بمراكش تحت إشراف المنصور السعدي ،والسلاح الناري وكان السلاح يصنع بفاس في القرن العاشر الهجري[2].

في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان المغاربة يصنعون البنادق وأنواعا من الأسلحة البيضاء كخناجر والرماح في تطوان وفاس ومكناس أما البارود فكان يصنع في مراكش وفاس وقد أسس كذلك مصانع لتذويب نحاس المدافع وهذه الخبرة جلبت من العثمانيين كما أسس مصنعا للقنابل بتطوان، أما في عهد الحسن الأول كان فإضافة إلى المدافع والمهاريس، وهي العدة الرومية المتكونة من مكاحل المركبة فيها قوافلها وقدرت بحوالي ألف وستمائة وعشرون مكحلة وعشرة قناطير من البارود[3].

ت)–البارود :

يعتبر اول مغربي استعمل البارود هو يعقوب المريني وذلك في عام 672هـ/1274م وتم استخدامه في حصار سجلماسة واستعمل أيضا المجانيق والعرادات وهي عبارة عن آلة تقوم برمي

(1) عبد الحق التازي: **في القرويين** ، مجلة دعوة الحق : عدد 9، 1977م.

(2) سهيل زكار وعبد القادر زمامة، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، الرباط، ط1، 1399 –1979، ص55.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج4 المرجع السابق، ص 254.

الحديد من خزنة وتتم العملية جراء النار المشتعلة بالبارود، واستعان أمير غرناطة إسماعيل في سنة 724هـ/1324م في حصار مدينة "وشقة" بالآلات العظمى المصنوعة من النفط، وفي عهد بني النصر (1482م-1492م) شاع استعمال البارود وبدأ الناس يتحدثون عنه، اما بالنسبة للقشتاليين فقد استعملوا صخورا من نار في عام 1486هـ، وأول من احضر بندقية إلى السلطان المغرب الغوري رجل من المغرب وكان ذلك في (906هـ-922هـ/1500م-1516م) [1].

ويقال بان المدعو "يعزي وهدي" هو الذي استعمل البرود في الصحراء والذي ،في سنة 727هـ/1326 موحارب أبا الحسن المريني اخاه في سجلماسة بمدافع البارود قبل عام 740هـ/1339م

وذكر استعمال البارود على لسان الدين بن الخطيب عام 724هـ في عهد أبي الوليد إسماعيل بن الفرج من قبيلة بني الأحمر الواقعة في نواحي "بسطة"[2].

في القرن العاشر الهجري السادس عشر تحدث الحسن الوزان عن مدافع وبنادق جيش بني وطاس، ووصفه بأن البنادق يحملونها الفرسان وتم تنظيم ذلك أيام السعديين بتشكيل فيالق للرماة الأتراك والأندلسيين والعلوج الذين بدأوا يتدربون على المدافع. وقبل (معركة وادي المخازن)

بحوالي ثلاثة سنوات (1575م) كان السلطان مولاي محمد يملك ازيد من مائة وخمسين مدفعا، واستخدم المغرب في نفس المعركة أربعة وثلاثين مدفعا و3000 من الرماة الأندلسيين المشاة وألف فارس المكلفون بالرمي بالبنادق ،وعندما جرت وقعة (هدة البارود) بمراكش سنة 1280هـ/1863 مفي فندق بجامع الفنا وتم جمع أربعمائة قنطار من البارود وحينها اشتعلت النار في (فحم الريش) المستعمل للبارود ووصل عدد صناع البارود في فاس خمسة سنة 1898م/1319هـ[3]

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج2، ص18.

(2) محمد المختار السوسي، **خلال جزولة**، ج2، المطبعة المهدية تطوان –المغرب، ص33.

(3) عبد العزيز بن عبد الله : المرجع السابق، ص82.

4- الطبجية والقناطر والجسور :

أ)-الطبجية :

كانت المدفعية أو (الطبجية) تصنع في مصنع الأسلحة بفاس الجديد في عهد احمد الوطاسي (961هـ/1553م) أما في عهد الغالب السعدي فكانت فرقة من قدامى الأندلسيين مكلفة بصنعها[1].

قام عبد الملك المعتصم بإعطاء للعثمانيين عشرين مدفعا يتكون واحد منها من تسع فوهات[2]، وتم تعين "سان ماندريي" الفرنسي من طرف السلطان مولاي زيدان كمهندس للمصنع تم تاسيسه لاذابة المدافع وتكرير ملح البارود وصار هذا المهندس يتمتع بصمعة وشهرة في بلاط السلطان، أما بالنسبة للمدافع فانها تخرج بالنفط في مناسبات والأفراح وتسابق الخيول[3].

ب)- القناطر والجسور :

كان الملوك والسلاطين يهتمون بتشييد القناطر في الطرق الكبرى، لتامين المواصلات بين المدن فقام المولى سليمان بإصلاح القناطر والجسور، التي بنيت قبل عهده بين فاس ومكناس، وبنى قناطر أخرى منها قنطرة على وادي سيدي حرزام بخولان وقنطرة وادي حصار بتامسنا وقنطرة وادي أم الربيع وقنطرة تانسيفت بمراكش[4]. ومن هذه القناطر :

- قنطرة ابن طاطوبفاس : بناها سيدي احمد الشاوي.
- قنطرة أبي رقراق : بنيت على نهر اسمير.
- قنطرة أبي صفيحة : بناها قائد تطوان احمد حداد 1270هـ/1853م.

(1) عبد العزيز الفشتالي : المصدر السابق، ص42.

(2) مجهول : **تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية**، ص53.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج3، ص60.

(4) نفسه، ج3، ص 171.

– قنطرة أم الربيع : بناها محمد الشيخ السعدي.

– قنطرة البوغاز: قنطرة عظيمة وصلت بين البرين.

– قنطرة تنسفت : بناها علي بن يوسف المرابطي في مدخل مراكش.

– قنطرة الحلاج : الرابطة بين الرباط وآنفا.

– قنطرة الرصيف : تم تجديد بنائها من طرف السلطان احمد الوطاسي عام 951هـ/1544م.

– قنطرة سبو : بناها محمد المهدي الشيخ السعدي وجدد بنائها المولى الرشيد عام 1079هـ/1668.

– قناطر فاس.

– قنطرة الوادي الكبير أو وادي اشبيلية : بناها أبو يعقوب عام 567هـ/1171م.

– قنطرة وادي النجاة وقنطرة ماريج : بنيت عام 680هـ/1281م.[1]

مما سبق نستنتج ان المولى إسماعيل استعمل جيشا مكونا من القبائل التي كانت مخلصة له . وكان يتكون من ثلاث فرق: فرقة أهل سوس وفرقة المغافرة وفرقة الوداية. ولأهمية الفرقة الأخيرة وكثرة ثقته بها . سمى الجيش بجيش الوداية. وكانت أم السلطان من بنات المغافرة من الوداية، فكان هذا الجيش محترما لأن فيه أخواله. وكان من جيوشه جيش الريف الذي كان يتميز عند الولى إسماعيل بمكانة خاصة، حيث جرد جميع القبائل من السلاح ماعدا أهل الريف فقد تركهم وسلاحهم. م إن قوة تنظيمه لمؤسسة الجيش مكنته من استرجاع عدة ثغور، وخاصة منها المناطق الساحلية، فحرر المهدية سنة 1092هـ، وطنجة سنة 1095هـ، والعرائش سنة 1101هـ، ثم أصيلا سنة 1102هـ. وحاول تحرير سبتة ومليلية سنة 1693/1106م.

كما حاول التوسع في الشرق، فسار إلى تلمسان في اتجاه نهر شلف، إلا انه لقي مقاومة عنيفة من الأتراك، إلى أن وقع الصلح بينه وبين الأتراك: كما استرجع الصحراء وبلاد السودان

(1)أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج3، ص174.

وقد قام ببناء 76 قصبة في أنحاء المغرب، وكانت وظيفة العديد منها حماية السواحل،بعد توليه الحكم عمد المولى إسماعيل إلى إعادة تنظيم مؤسسة الجيش، وفي ذلك الإطار تشير مصادر إلى كونه أنشأ جيش "عبيد البخاري" الذي وصل عدد عناصره إلى 150 ألفا، "فرقهم في نواحي البلاد وحصنهم في القلاع لضمان الاستقرار والهدوء في مختلف أرجاء مملكته"، كما حرص على تقوية الأسطول البحري.

.

امتازت مرحلة حكم السلطان مولاي إسماعيل بأحداث مهمة وكثيرة في تاريخ المغرب الحديث، حيث يعود له الفضل في استرجاع العديد من الثغور المحتلة، وضمان استقرار البلاد وفرض هيبتها، كما ركز على أسلوب القوة العسكرية ومتانتها، وقد اتفقت معظم المصادر على أن السلطان إسماعيل والذي قضى أكثر من نصف قرن في الحكم؛ كان شخصية فريدة ومميزة والقوية في تاريخ المغرب، إذ نقل البلاد من الفوضى والتناحر إلى ضبط الأمن والاستقرار فيها. وهذا ما دفعنا كطلبة وللبحث حول هذه الشخصية السياسية والعسكرية، وبالتالي عن التركيبة التي اعتمدها عليها في تكوين قوته وبالتالي تكوين جيش مغربي مستقل عن القبيلة وضغوطها وعن العصبية ومطامحها !

هذا ما جعله يلتجأ إلى أسلوب جديد في تنظيم قوته العسكرية في تاريخ المغرب، وهو تكوين جيش منظم، محترف لا يمت لأي قبيلة بصلة، يكون الولاء فيه مطلقا لقائده الأعلى، ومتمرسا على أساليب الحرب والقتال، وخاضعا لتكوين نظري وتطبيقي مهمين ومجهزا بأحدث الأسلحة من عدة وعتاد. ليصبح بالتالي القوة الضاربة والأداة الفعالة والقوة العتيدة التي سيعتمدها السلطان مولاي إسماعيل لتوطيد الحكم ودعم اقتصاد البلاد وتحرير ثغورها.

في هذا الفصل سنتطرق إلى قوة عسكرية أثرت تاريخ المغرب العسكري السياسي والتاريخي منذ القرن السابع عشر انه جيش (عبيد البخاري) الذي يعتبر بمثابة انكشارية المغرب.

المبحث الأول

تأسس جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل>

1-الأصول الأم لهذا الجيش :

لقد استشار المولى إسماعيل بعض المقربين إليه من أهل الفكر والسياسة ولعلهم قد أشاروا إليه بان تكوين قوة عسكرية من الزنوج القاطنين بالمغرب ستكون هي بداية هذا الجيش، يذكر المؤرخ محمد بن الطيب القادري قصة تأسيس جيش عبيد البخاري، أو جيش الوصفان، كما تسميه كثير من المصادر[1]. يقول القادري: «**لما كثر النهب بين قبائل المغرب والشرورُ والفتن، علم السلطان أن ما عنده من الجيش لا يكفيه للحرْكة إليهم لتمهيد البلاد، فاستشار الفقيه القاضي محمد بن العياشي**[2] **– وكان لزم خدمته والوقوف ببابه – من أي قبيلة يتخذ جيشا. فقال له : يا سيدي، إن أمير المؤمنين مولاي أحمد الشريف الحسني السعدي (المنصور الذهبي) كان وجه جيشا لفتح بلاد السودان فسبوا عبيدا، فاتخَذهم جيشا... الآن أجمعْهم فإنهم مملوكون لبيت المال واتخِذهم جيشا للخدمة. فقال له السلطان : أنت النائب عني في جمعهم. فقال له : يا سيدي، عين لي وكيلا يقوم في طلب حق بيت المال، وأنا القاضي**[3]

---

(1) محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**، ص 145.

(2) أبو سالم العياشي : (ت 1090هـ/1679م) هو العلامة الفقيه والرّحالة الأديب والمحقق النِّحرير والمسند الحجة: أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، يلقب بعفيف الدين المالكي، واشتهر بكنيته، يرجع نسبه إلى قبيلة آل عياش البربرية المتاخمة لبلاد الصحراء، ويتصل نسبه بالأدارسة الأشراف.ينظر محمد الصغير اليفراني : **صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**,تقديم وتحقيق :هبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي – المغرب، ط، **1425هـ – 2004 م**، ص325./ينظرأيضا عبد اللطيف الشاذلي :**الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، أطروحات ورسائل،1982م، ص91/ ينظر أيضا محمد الأخضر مبرز السربون : المرجع السابق، ص 168.

(3)محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**، ص 145.

بينه وبينهم. فقلده القضاء في الفصل في ذلك وسمي بقاضي القضاة، وعَين السلطانُ الوكيلَ وهو الباشا عليلش[1]**. ثم شرع عليلش في جمع العبيد»**[2].

أما أبو القاسم الزياني، صاحب «البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف»، فقد روى قصة قريبة للحقيقة، بطلها هذه المرة الباشا محمد بن قاسم عليلش. يقول الزياني: «**واعتنى هذا السلطان بجمع العبيد من السودان والمولدين وجعلهم عسكرا**[3]**. والسبب في ذلك حسب ما وقفت عليه في كناش الكاتب أحمد اليحمدي، وزير المولى إسماعيل المقرب، رحمه لله، قال : لما بلغ إسماعيل مراكش، كان يكتب عسكره من الأحرار من قبائل الحوز**[4]**. وتعلق بخدمته محمد عليلش، وكان والده كاتبا مع أحمد المنصور**[5] **وبنيه من بعده، فأتاه يوما بدفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في عسكر المنصور، فسأله : هل بقي منهم أحد؟ فقال: نعم، كثير منهم ومن أولادهم. وهم متفرقون بمراكش وحوزها وبقبائل الدَّير.**

---

(1)الباشا عليليش : محمد ابو حفص عمر بن قاسم المراكشي المدعو عليليش بن الفقيه البركة أبي القاسم عليلش الحضرمي القرشي البكري الصديقي التميمي :فقيه جليل عالم علامة متقن مشارك حازم ضابط قوال للحق جامع ما افترق في غيره من المحامد، عدل رضي تقي نقي حي أريحي خير دين فاضل كامل موثق ماهر فرضي عارف تولى النيابة عن القاضي في الأحكام واختص بقلم وثائق البياطرة والقوابل الناظرة بالدويرية لجومة الأسبوع بقبلة المسجد الأعظم محل سكنى شيخنا السيد محمد فتحا بن أحمد السوسي، ينظر عبد الرحمن بن زيدان : **إتحاف أعلام الناس**، ج4، ص103،ينظر كذلك أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج 7، المرجع السايق : ص56.

(2) محمد بن الطيب القادري : نشر المثاني : ج3 ، ص 145.

(3) العسكر : **دخَلَ العَسْكَرُ الْمَدِينَةَ** : الْجَيْشُ، الْجُنْدُ **عَسْكَرٌ مِنَ الرِّجَالِ** :عَدَدٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ. "عَسْكَرٌ مِنْ خَيْلٍ"ينظر مجمع اللغة العربية : **معجم الوسيط**، ط، 5عام 2011م، ج5، ص601.

(4) الحوز : هي المنطقة المحيطة بمراكش (إقليم مراكش) وهي أراضي منبسطة يغلب عليها الجفاف ويسكنها قبائل الرحامنة وقبائل اخرى ثم نقلها الي، ينظر :

G.devergun.**Ency.de l islam** ;T3.P ;P309.310 et Paul Pascon **; le Hauz de *marrakech***

(5) احمد المنصور الذهبي : كانت ولادته بفاس سنة 956هـ، بويع بعد وقعة واد المخازن، وهو جوهرة عقد هذه الدولة وأفضلهم، فتح السودان، توفي بالطاعون عام 1012هـ دفن بفاس ثم نقل إلى مراكش، ينظر عبد العزيز الفشتالي، المصدر السابق : ص ص 48: 51،

ولو كلفني سيدي بجمعهم، جمعتهم. فولاه أمرهم وكتب له إلى قواد القبائل في إعانته على جمعهم، ولا يحولون بينهم وبينه»[1].

أصبحت بعدها، هاتان الروايتان مصدر الحكايات، فنقل أكنسوس صاحب «الجيش العرمرم»[2] رواية الزياني، وعنه نقلها الناصري في «الاستقصا». ونقل المشرفي في «الحلل البهية» الروايتين معا[3]. وهكذا فقد سار عمر بن قاسم المراكشي في مراكش واحوازها لجمع العبيد السود والأحرار السود كذلك ورغم ما لاقاه من مشاكل إلا انه استطاع في ظرف سنة من جمع 3000 من الذكور والإناث[4]، وقد تم جلبهم من المحاور الثلاث التالية :

محور بلاد الهبط: بقيادة أبي حسن علي بن عبد الله الريفي[5]، تم جمع حوالي 8000 فردا، وان يشتري العزاب والإماء وعليه كسوتهم ويعطيهم السلاح ويعين لهم قوادهم ويوجههم للمحلة[6].

1-محور قبائل الغرب وبني حسن[7] : بقيادة عبد الله محمد بن العياشي[8].

---

(1) أبو القاسم الزياني : **البستان الظريف** : ص ص:156، 157، 158.

(2) ابي عبد الله محمد بن احمد الكنسوسي : **الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد علي السجلماسي**، ت ت ت أحمد بن يوسف الكنسوسي، 1994، ج1، المصدر السابق : ص125.

(3) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، ج1، المصدر السابق :ص297/ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج 7، المرجع السايق : ص58.

(4) محمد الضعيف الرباطي : المصدر السابق، ص79/ عبد الرحمن بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص312، ص313.

(5) أبي حسن علي بن عبد الله الريفي : أحد كبار قواد جيش المولى إسماعيل في منطقة الشمال الغربي من البلاد، حاصر سبتة مدة طويلة، وقد كانت وفاته بطنجة في شعبان 1125هـ/1713م، ينظر محمد داود : المرجع السابق، ص44.

(6) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: :ج 7، المرجع السابق : ص57 /أبو القاسم الزياني : **البستان** : ص159.

(7) بنو حسان أو بنو حسن : قبيلة من قبائل الريف، تقع بين مدينة شفشاون وتعريف اليوم بسوق أربعاء بني حسان ينظر Eugène Aubin ,**le Maroc d àujourdhui**:pp101-102

(8) أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي : ولد في 1037هـ/1627م وتوفي سنة 1090هـ/1679م أمازيغي ينتمي إلى قبيلة أيت عياش بجبل العياشي، رحالة وفقيه مغربي ,كما اسند له كرسي التدريس والافتداء بفاس، وهو صاحب الرحلة الشهيرة "ماء الموائد" توفي بالطاعون، ينظر محمد الصغير اليفراني : **صفوة من انتشر**,ص242/ ينظر محمد الطيب القادري : **التقاط الدرر**، ص139/ محمد الطيب القادري : **نشر المثاني** : ج2، ص ص:83-85.

أن يذهب لقبائل الغرب فجمعهم وكان عددهم 2000 عنصرا، كما كساهم ويسلحهم من تطوان.

2-محور قبائل تامسنا ودكالة[1] : أمرهم المولي إسماعيل بجمع عبيد المخزن وصل عددهم إلى 4000 عنصرا. نصف من تامسنا ونصف من دكالة وترك عبيدها بها، إما تامسنا بزاوية أهل الدلاء. وبحلول سنة تسعة وثمانين وألف غزا السلطان إسماعيل صحراء سوس حتى تخوم السودان فجلب من تلك الغزوة ألفين من الحراطين مع أولادهم[2].

2- تسميته :

تجسد تمثيل الإمام البخاري[3] **– صاحب مسند الأحاديث الأشهر صحيح البخاري – في أنّ السلطان المولي إسماعيل جعل صحبة الفقهاء والمحدّثين المُقرّبين منه، اجتعموا مع جنود الجيش الجديد، وجعلوهم يؤدون اليمين القسم على صحيح البخاري**[4].كما ورد عند صاحب الحلل سبب تسمية هذا الجيش بعبيد البخاري هو ان المولى اسماعيل جمع مشايخ القبائل واحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم : **"أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله وشرعه المجموع**

(1) دكالة : تدخل في إقليم دار البيضاء وكانت في القديم تمتد بين أم الربيع ووادي تنسفت والمحيط الأطلسي وكانت تضم خليط قبائل صنهاجة والمصامدة أما الآن فمعظمهم من العرب الذين التحقوا بالمنطقة منذ عهد الموحدين وما بعدهم، ينظر محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، ج1 المصدر السابق : ص 299.

(2) مجهول : **تذكرة النسيان**، ص31.

(3) الإمام البخاري : هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (194هـ/256هـ) (810م/870م) أحد كبار الحفاظ الفقهاء من أهم علماء الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل والعلل ,عند أهل السنة والجماعة، له مصنفات كثيرة أبرزها كتاب الجامع الصحيح , المشهور بصحيح البخاري والذي أتفق أهل السنة والجماعة على أنه، أصلح الكتب بعد القرآن الكريم، نشأ ي تم ورحلفي طلب العلم للقاء العلماء ,كما امتحن أواخر حياته وتعصب عليه حتى أخرج من نيسابور وبخاري فنز لإحدى قرى سمرقند فمرض وتوفي بها، ينظر أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي : **البداية والنهاية**، طبعة دار هجر، ج14، ص 530.

(4) عبد الكريم الفلالي : ج 4 المرجع السابق، ص144/ عبد الرحمن بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص285/ عبد الرحمن بن زيدان : **العز والصولة** ،ج1، ص245.

في هذا الكتاب، فكل ما أمر به نفعله وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل." [1] فعاهدوه على ذلك، وأمرهم بالاحتفاظ بتلك النسخة وأن يحملوها حال ركوبهم ويقدموها أمام حروبهم كتابوت بني إسرائيل. ظل ذلك التابوت المحتوي نسخة البخاري المزين بالحلل يحمل في محفة على فرس كامل الأدوات يسير في الموكب السلطاني في الأسفار والرحلات، محوطا بـ"العلم النبوي" الذي يحمله الملوك في أسفارهم وبأعلام جيش البخاري كحراس له[2].

3- **فرقه** : وقد تم تقسيم جيش البخاري إلى ثلاثة فرق :

- **عبيد خالصي الرقبة** : وهم العبيد الذين وجدوا في دفتر عمر بن قاسم المراكشي المدعو عليليش، أي بقايا العهد السعدي، واشترتهم الدولة من أصحابهم، وهم العبيد الخلص[3].
- **العبيد الأحرار** : هم الذين حرروا وثم إدماجهم في الجندية إدراجا إجباريا، كما عرفوا بالحر الثاني. أما الفرقة الثانية يمكن دمجها في تعريف الحرطانيين.
- **العبيد الأحرار خالصي الحرية:**

وقد اختير هؤلاء للونهم، وكان عدد منهم من الأفارقة الذين يسكنون المغرب أو جلبوا من جنوب إفريقيا[4]

ولا يكونون عصبية داخلية ولا يتميزون بنزعة إقليمي، وعرفوا بشهامتهم وقوتهم وارتأى أن يضيفهم إلى الآخرين لما لهم من الدراية على المواجهة ولأنهم لا يخافون ولا يرهبون[5].

(1) عبد العزيز بن عبد الله : **تاريخ المغرب (العصر الحديث والفترة المعاصرة)**، 2 ج، نشر وتوزيع مكتبة السلام الدار البيضاء، مكتبة المعارف، الرباط، ص1، ينظر : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج 7، المصدر السابق، ص58.

(2) محمد العتر : **تاريخ جيوش العبيد في العالم الإسلامي، الإنكشارية وعبيد البخاري**، مقالة في ساسة SAS POST، 2016.

(3) عبد الحق المريني : المرجع السابق، ص97

(4) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج 7 المرجع السابق : ص58.

(5) محمد المغراوي : **تنظيم جيش البخاري في عهد مولاي إسماعيل**، في مجلة دعوةحق، الرباط، 1957، العدد 203..

– الحراطين :

– هو الاسم الذي أُطلق على الأحرار ذوي البشرة السمراء، وهؤلاء إما أنهم كانوا عبيدًا وحصلوا على حريتهم، أو أنهم لم يستعبدوا، لكنهم استخدموا للعمل في الأراضي والحقول والبساتين لذا يذهب البعض إلى تفسير هذا الاسم، على أنه يرجع إلى كلمة "حرّاثين" أي الذين يحرثون الأرض[1]**، وهنالك من عرفهم على أنهم من أهل المغرب العتيق وأصله الحر الثاني حيث الحر الأصلي حر أول وهذا العتيق حر ثاني ثم كثر استعماله على الألسنة فقيل الحرطاني علي ضرب من التخفيف**[2]،كما عرفت كذلك بهذا المفهوم : وتعني الأحرار السّود البشرة وهي كلمة إفريقية أو أمازيغية محرفة عن كلمة أحرطن أو الذي له أخوال من السودان ،ويقال في موريتانيا أن أصلها كلمة أحرار طارئين أي الذين حصلوا على حريتهم حديثا[3].

1-العوامل المؤدية إلى تأسيس جيش البخاري :

هناك مجموعة من الأسباب جعلت المولى إسماعيل يفكر في تكوين جيش جديد منها ما يتعلق بالقبائل ومنها ما يتعلق بالسلطان وهي كتالي :

أ)– تناحر القبائل وضعفها : من العوامل التي انعكست سلباً على القبائل المغربية، في الظروف السياسية العوامل السياسية، ثم العوامل الطبيعية[4]، وعند النظر للعوامل السياسية، فإن القبائل المغربية، ظهر عليها التراجع والضعف في نهايات العهد السعدي، هذا ما جعل من القبائل المغربية

(1) عبد الله كنون : **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، قراة عبد السلام الهراس، ج2، ط2، 1960، ص183.

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، **ج7** المرجع السابق : ص58.

(3) محمد حجي : "**حراطين**" ,في معلمة المغرب، للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا،العدد1سنة 2008م.

(4) إدريس أبو إدريس : **الثابت والمتغير في بنيت الدولة المغربية**، ج2، مطبعة المتقي برينتر المحمدية – المغرب، ص12.

تتنافس فيما بينها من أجل الظفر بالحكم والسلطة، وخير مثال على ذلك في المنطقة الشمالية كانت حركة العياشي[1].

هي الأكثر انتشارا، وتقابلها من ناحية الأطلس المتوسط حركة الدلائيين[2]، والشيخ كروم الحاج في مراكش[3] ومما لا شك فيه أن كثرة الحروب التي خاضتها هذه القبائل أو الزوايا كانت تنهك قواها شيئا فشيئا،ولم تكن تتوفر فيها الشروط التي كان المولى إسماعيل يعتبرها ضرورية لجيش "**على طريقة المخزن** " لذلك نجده يفكر في تأسيس جيش خارج إطار القبائل[4].

ب)- تراجع تعداد نمو القبائل المغربية :

وهذه الأسباب السياسية انعكست بشكل كبير في تكاثر القبائل المغربية في المرحلة الممتدة من انهيار السلطة السعدية إلى حدود تولي السلطان مولي إسماعيل الحكم وفرض سلطته على الكل.

كانت الصراعات الكثيرة والمتعددة ذات تأثير كبير على القبائل المغربية، لأن كثرة هذه الحروب تستنزف من قواها العسكرية وضعف مجتمعها القبلي، فكان اهتمام هذه القبائل بالحروب أكثر من اهتمامها بالأمور الأخرى، ونظرا لكثر الحروب فإن القبائل المغربية كانت تخسر رجالها

(1) الحركة العياشية : كان قائدها أبي عبد الله العياشي وكان مقدما على الغزات "المجاهدين" في بلاد الهبط واستقل بهذه الناحية الخضر غلان بعد مقتل عبد الله العياشي، حاربه المولى الرشيد ففر إلى الجزائر ومارس "الجهاد البحري" وفي عهد المولى إسماعيل رجع إلى بلاد المغرب ونزل بتطوان مع رؤساء أولاد االنقسيس، وقتله المولى إسماعيل في 1084هـ/1664م، ينظر عبد اللطيف الشاذلي :المرجع السابق، ينظر كذلك :

Archives Marocaines ,vol18,paris ,1912 , p1-p186

(2) حركة الدلائيين : التفت عدة قبائل صنهاجية حول أحمد بن عبد الله الدلائي في تادل، وهزمت ثلاث جيوش متتابعة أرسلها لمحاربته وأمام تفاقم الأوضاع اضطر مولاي إسماعيل الذي كان منشغلا بثورة ابن أخيه أن يتفرغ لمحاربة الدلائي فقاد بنفسه حركة لتبادلا قضى فيها على معالم زاوية الدلاء، ينظر محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص 261.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : ج3، ص 43.

(4) نجد هنا رسالة بعث بها المولى إسماعيل إلى ملك مصر وعلمائها يقول فيها "**أهل المغرب لهذا العهد لا يصلحون للجندية لما جلبوا عليه من التكاسل تخاذل**"، ينظر ثريا برادة : **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ط1، 1997م، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء – المغرب، ص73.

واحدا تلوا الأخر، فكثرة الوفيات أمام تراجع الولادات،فانخفض بذلك عدد سكان القبائل بشكل ملحوظ[1].

ويمكن اعتبار ذلك أنه من العوامل التي دفعت بالمولى إسماعيل، تأسس جيش البخاري، نظرا لسياسة السلطان التي تتطلب كثرة الجنود، مع وجود مصدر دائم يوفر الجنود في أي وقت، وفي جلبهم من إفريقيا متى تطلب الأمر ذلك والحالة هذه لم تكن تنطبق على القبائل المغربية[2].

ت)- الولاء الشخصي :

أغلب الباحثين في التاريخ المغربي يرجحون هذا العامل، نظرا لأهميته التاريخية، فقد ركز عليه المولى إسماعيل، حيث أراد ربط أفراد جيشه به وبشخصيته في علاقة مباشرة لا تدخل فيها العلاقات الاجتماعية أو السياسية كما أراد ان يكون له السلطة الكاملة عليه مع ضمان الوفاء والإخلاص لشخص المولى إسماعيل.[3]

وفي هذا الصدد يقول عبد الله العروي : "... **كانت الفكرة تتلخص في فصل الجيش عن الجامعات الأخرى المتقاسمة أرض المغرب، كما توخى أن يرتبط الجنود مباشرة بشخصه وبه وحده، ولم ير من وسيلة إلى تحقيق ذلك الغرض سوى تجنيد الوصفان أراد أن يكون رمز الولاء لشخص السلطان وللأسرة الشريفة الحاكمة...**" [4]، لكن السؤال المطروح كيف فكر المولى إسماعيل في هذا العامل ؟

هناك إجابة قد تكون علي قدراً كبير من الأهمية عند الأستاذ القبلي حيث يقول "**يمكن القول بأنها ليست فكرة جديدة لا في المغرب ولا في بقية العالم الإسلامي. فقد عمل بها**

(1) إدريس أبو إدريس : المرجع السابق، ص12.

(2) ثريا برادة : المرجع السابق : 73.

(3) نفسه :ص 73

(4) عبد الله العروي : **مجمل تاريخ المغرب**، ط 5، المركز الثقافي المغربي، دار البيضاء، المغرب، 1996، ص 498.

العباسيون ومماليك مصر في العصر الوسيط والعثمانيون والصفويون في العصر الحديث كما اعتمدت الأسر الحاكمة في المغرب منذ المرابطين حتى السعديين على فرق من العبيد السود. ولعل بعض سمات جيش العبيد الاسماعيلي تذكر بكيفية واضحة ببعض مميزات جند الإنكشارية العثماني خاصة فيما يتعلق بأصولهم الأجنبية وتنشئتهم في البلاط..." [1].

هكذا جعل جيش العبيد البخاري يعطون الولاء للسلطان وحده الأمر يتعلق بجعل الجيش المغربي له علاقة مباشرة بشخصية السلطان دون الانتماء إلى أي قبيلة من القبائل المحلية، وبالتالي يكون الجند في خدمة السلطان دون أي انتماء قبلي يؤثر عليهم.

وعليه، فإن الانتماء القبلي ، يجعل الجند له ولاء للقبيلة أو الزاوية أكثر من ولائه للسلطان، وبالتالي الاعتماد على القوة القبلية في الجيش تظل رهينة تقلبات هذه القبائل[2].

من هنا فكر المولى إسماعيل في تأسيس جيش البواخر لاستعمالهم كنواة لجيش من نوع خاص من أجل السيطرة على التمردات القبلية التي قد تأثر سلبا على صفوف الجيش المغربي النظامي[3]،

ويكون تأثيرها كبير جدا، وعلى جميع الأصعدة، سياسي واجتماعيا واقتصاديا. وبالتالي الاعتماد على السود دون الاعتماد علي القبائل هو راجع بالأساس إلى وجودهم في الأراضي المغربية بكثرة.[4]

(1) القبلي وآخرون : **تاريخ المغرب**، تحيين وتركيب منشورات المعهد الملكي في تاريخ المغرب، ط1، مطبعة عكاظة الجديدة، الرباط، المغرب 2011، ص 411.

(2) ثريا برادة، المرجع السابق : 73

(3)Magali Morsy : **Relation de Thamas Pellow**, une lectur du Maroc au 18 éme siècle ,paris ; édition Recherche sur les civilisations, 1983 pp122 ;161 ;163,/et voir Marc André Nolet : **les Renégats :leur Contribution à la Costruction de létat Mrocain de 17et18siccle** ,Mais 2008 ,univrdié du quebec, à Montréal : p p93-94.

(4)ثريا برادة، المرجع السابق : 73.

منذ حملة السودان، التي قام بها المنصور السعدي[1]. إذا نستنتج من ما سبق بأن المولى إسماعيل كان يود التقليص من أهمية القبائل المغربية في الجيش من خلال نزع السلاح والخيل من بعض القبائل حيث يقول التهامي الوزاني ما نصه : **"وفي سنة 1095هـ خرج السلطان مولاي إسماعيل إلى جبال فزاز[2] لتنظيم قبائل صنهاجة وبناء القلاع وتجريد أعملها من السلاح والذكران من الخيول"**[3].

وخير دليل على ذلك مراسلاته العديدة للعلماء نذكر منها : **"وقد نظرنا في الجند الذي عليه مدار أساس الخلافة وبه قوامها فما وجدنا مدينة فيها عصبة، ولا قبيلة فيها حمية تطوق أعناقها بهذا الطوق وتتقلد هذا الريق فمدينة فاس، نحتاج إلى نخبرك بها، ولا إليك حالها تشكت من الضعف الكثير حتى أنا إن أردنا أن نخرج منها ألفين أو ثلاثة آلاف لايسلعدون عليه، ويزعمون أنهم لا يقدرون على الوصول لهذا العدد"**[4].

نستنتج مما سبق :

يعود تأسيس جيش البخارى الى الدولة العلوية الشريفة (الفيلاليين) وتحديدا في عهد ثاني سلاطينها (مولاي اسماعيل بن الشريف العلوى) الذي حكم المغرب في الفترة من عام 1672-1727م،

(1) حملة منصور الذهبي : قامت قي سنة 1591م /999هـ ،برئاسة الباشا جودر من العلوج الأندلسيين وبأمر من السلطان احمد المنصور الذهبي، بغزو ما كان يسمى آنذاك بالسودان، والمعروف تاريخيا السودان الغربي، وأصبحت تابعة للدولة السعدية. ينظر، مجهول ،المصدر السابق، ص31 وكذلك ينظر الفشتالي : المصدر السابق : ص80، وأبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج2 ، ص311.

(2) جبال فزاز : يقول الناصري "ولما دخلت سنة 1305هـ/1887م غزا السلطان مولاي الحسن أيده الله آيت ومالو من برابرة فزاز وهم بطن من صنهاجة يشتمل على أفخاذ كثيرة مثا ظيان وبني مكليد وشقرين وآيت سخمان وآيت يسرى وغيرهم أمم لا يحصيهم إلا خالقهم قد عمروا جبال فزاز ولؤوا قننها وتحصنوا بأوعارها منذ تملك البربر المغرب قبل الإسلام باعوام طويلة فلما كانت السنة المذكورة خرج السلطان من مكناسة الزيتون عاشر رمضان منها بقصد غزو هذه القبائل العاصية وتدويخ بلادها، ينظر أبو العباس أحمد بن خالد الناصري, المرجع السابق، ج3، ص199.

(3) التهامي الوزاني : **تاريخ المغرب**، ج2، نشر مكتبة الريف، تطوان المغرب، 1940، ص76.

(4) محمد الفاسي : **حياة المولى إسماعيل**، مجلة تطوان، عدد خاص بالسلطان المولى إسماعيل 1962، ص13.

وكان المولى إسماعيل قد أراد تكوين جيش محترف يكون ولاءه الأول و الأخير للسلطان فقط بإعتبار ان الجيش النظامى وقتها فى المغرب كان يعانى من الولاءات القبلية، بالاضافة الى انبهار مولاى اسماعيل الشديد بتجربة الجيش الانكشارى التابع للسلطان فى الدولة العثمانية وبجيش المماليك في مصر، وايضا بوجود تجربة سابقة قد حدثت فى المغرب نفسها وهى تجربة (الحرس الاسود (الملكى والذى كان قد تأسس من العبيد الافارقة على يد السلطان المغربى)احمد المنصور الذهبي) بعد غزو مالى والنيجر، وكان صديق السلطان وكاتبه)عمر المراكشي) والمعروف بإسم ''عليليش'' والذى ايضا كان والده كاتبا للسلطان المنصور على علم بهذه التجربة السابقة، ويمتلك سجلات بها جميع اسماء واماكن وجود الجنود الذين كانوا يشكلون قوة الحرس الاسود سابقا.

المبحث الثاني

تطور جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل

1-تنظيم الجيش :

بعد أن نجح السلطان إسماعيل في جمع عدد كبير من العبيد والإماء وبلغ عددهم في البداية حوالي أربعة عشر ألفا وزعهم على مناطق مهمة خاصة بمشرع الرملة[1]، وقد ارتفع عدد العبيد تزاوج العبيد إذ أمر السلطان بذلك بسبب السياسة التناسلية التي أمر بها السلطان للرفع من عناصرها[2]،كما أضيف لهم الحراطين الذين جلبهم السلطان مولاي إسماعيل خلال حملته على بلاد شنكيط وأقا[3]، عام 1678م قدر عددهم بـ 2000 فردا، كما أن القوافل التجارية التي كانت تذهب إلى السودان عبر التوات وغينيا، وتجلب معها العديد من السود، وقد وصل عدد عبيد البخاري في نهاية العقد الثالث من القرن الثامن عشر ميلادي إلى مائة وخمسين ألف وإذا جمعنا العدد بين ذكور وإناث نجده في حوالي ثلاثين ألف نسمة[4]، ولو نرجع للمؤرخين الفرنسيين نجدهم قد قدروا عدد جنود العبيد بين الخمسين ألف[5].

(1) مشرع الرملة : "من تاسيس مولاي إسماعيل , وهو عبارة عن معسكر كان يقيم فيه عبيد البخاري ويقيم فيه ديوانهم , ويقع على جانب تيفليت قريبا من سيدي يحي" ينظر عبد الكريم الريفي، المصدر السابق، ص182 رقم الهامش 461.

(2) أبي عبد الله محمد بن احمد الكنسوسي : ج1، المصدر السابق ص133، ينظر كذلك عبد الله العروي : المرجع السابق ص498.

(3) أقا : إسم لأحد روافد نهر درعة اسم "أقا" كانت لها أهمية اقتصادية كبيرة لوقوعها على طريق القوافل التجارية الرابطة بين تنبكتو ومراكش، ينظر أبو القاسم الزياني : **البستان**، المصدر السابق، ص195 هامش رقم 46.

(4) أبو القاسم الزياني : **الترجمان المعرب**، ص 16، ينظر كذلك أبي عبد الله محمد بن احمد الكنسوسي : المصدر السابق : ص ص 126-127.

(5)Mogali Morsy :**Molay Smail ,et l àrmée de métier**, revue d historic moderne et contemporaine ,n°14 ;Avril ,et juin 1969,pp122,161,163 .

لائحة العبيد والإماء الذين جمعوا في بوادي المغرب إلى حدود 1117 هـ/1706م[1].

القبيلة	عدد العبيد والاماء
بني مالك وسفيان	21000
الخلط	12500
طليق	13000
عوف	1000
القبائل الفحصية و الهبطية	10000
أولاد عيسى	2900
صبيح الرملين والترسن	2000
أولاد جامع	2750
الشراقة	3300
المحاميد و أولاد الحاج والملالقة	1800
الحيانية	10000
ضواحي تازة	10000
القبائل اليازغية والغياثة و المختارية	5000
القبائل الحسناوية	4000
القبائل المختارية	2250
العامرية والسهلية والحصينية والصباحية والسبطية والحارثية	5040
البربرية أهل فازاز	6000
زعير وما جاورها من العرب	6000
القبائل التادلاوية	10000
القبائل الدكالية والسرغينية والعمرية	21000
القبائل المسناوية و المسكينة	26000
اللقبائل المانيتية والعتامية والهرفالة والعياطية	5000
زمرار وحربيل والمنابهة وعكارة	3000
القبائر الديرية	4000
القبائل الحاحية والشياظمية	18000
القبائل السوسية والحليلية و الشبانية والهسكيمية	4000
الرحامنة	2500
القبائل المحاطية والابلالية	2800
الزوايا	5500
المجموع	**221320**

(1) ثريا برادة : المرجع السابق، ص77

بالنسبة للميزانية التي كان الهدف من وراءها هو تطوير وتنمية لهذا الجيش، وقُدّر ما دفعه المولى إسماعيل بعشر مائة قنطار من الدراهم "الفضية" أو الإبل والبقدر والغنم وبعد تقويمها، ظهر أن درجة الملكية كانت من بين المقاييس في تقدير الثمن[1].

وقد خضع أفراد هذا الجيش الفتي إلى تنظيم محكم وتكوين مستمر يمكن أن نشبهه بمدرسة عسكرية متخصصة، في إنتاج الجنود، وتربيتهم تربية عسكرية محضة تأهلهم للانخراط في سلك الجندية بصفة مباشرة، لقد عمل السلطان مولاي إسماعيل على الوقوف بنفسه على تكوين هذا الجيش الجديد حيث حرص على الاعتناء به وتنظيمه وفق إستراتيجية محكمشة وإتباع خطط عسكرية دقيقة[2].

ليتمكن الجندي من الانضباط والتأقلم مع أي وضعية أثناء الحرب والسلم ويستشف من النصوص التاريخية أن عملية التكوين تنطلق بالأساس من خلال برنامج علمي يبدأ بشروط الانضمام إلى المؤسسة الحربية الإسماعيلية إذا، نظرا لتوفر شروط التكوين المستمر ويخضع كذلك لترتيبات مدروسة تنطلق من اختيار مكان ومدة ومناهج وبرامج التكوين، كما يضع الأسس النظرية التي يجب تلقينها لأولئك الجنود، حتى يحقق السلطان إسماعيل الأهداف التي رسمها وينجز مشروعه الكبير والمتمثل في توحيد البلاد وضمان أمنها واستقرارها واسترجاع هيبتها بتحرير ثغورها المحتلة[3]. تبدأ مسألة التنظيم، فإن شروط القبول بسلك الجندية، يتطلب من المرشح أن لا يقل عمره عن عشر سنوات، وأن يكون أسود اللون، والقبول مفتوح في وجه الذكور والإناث.

(1) ثريا برادة : المرجع السابق : 84. هامش رقم 128.

(2) عبد الحق المريني : المرجع السابق، ص 99.

(3) أبو القاسم الزياني : **البستان**، ص37.

بينما يخصص مكان التدريب (مشرع الرملة) فبالنسبة للذكور تقام في الحوانيت والملاعب أو المعسكرات، وبالنسبة للإناث في القصور السلطانية[1].

يقول عبد الرحمان بن زيدان فيما نصه : "**المنزع "وما يسره في جيوشه الوافرة المظفرة فقد كان على نظام عجيب، واعتناء غريب، ففي فاتح المائة الحادية عشرة أصدر أمره العالي لعبيده بالإتيان بمن بلغ من أولاد الذكر الذكر عشر سنين فيفرقه على الصنائع والحرف...**"[2] وقد تبرهن صيغة عقود البيع المختلفة التي وقع عليها المكلفون بمختلف القبائل والقضاة والعلماء والشهود والتي كانت تبعث لقاضي الجماعة بـ مكناس ليختم عليها ,على مدى حرص المولى إسماعيل على ان يكون هذا الطابع واضحا[3].

2-تدريب وتسليح (وحدات الجيش) :

لم يكن الملتحقون الجدد بالجيش مبتدئين بل نستطيع القول عنهم دخلوا مرحلة الاحتراف ,نظرا للتدريب المكثف والمنظم والمدروس الذي خاضوه أثناء مرحلة تكوينهم ويمكن تقسيم مراحل التدريب والتكوين الصغار إلى سبعة مراحل وهي كتالي :

- **المرحلة الأولى :**

وهي المرحلة التي يتم فيها توزيع الأطفال الصغار على الحرف[4] وقد جاء في الاستقصاء عن هذه المرحلة مايلي "**فلما كانت سنة مائة وألف أمر السلطان رحمه الله أولئك العبيد أن يأتوه**

(1) عبد الكريم الفلالي، **ج 4**، المرجع السابق، ص148.

(2) عبد الرحمن بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص131.

(3) ثريا برادة : المرجع، السابق : 73.

(4) إدريس أبو إدريس : المرجع السابق، ص14.

بأبنائهم وبناتهم من عشر سنين فما فوق، ولما قدموا عليهم... فرق ألأولاد على البنائين والنجارين وسائر أهل الحرف للعمل والخدمة وسوق الحمير"[1].

- **المرحلة الثانية** : هذه المرحلة تأتي تكملة للمرحلة السابقة فبعد أن يقضي المتدربون سنة في ممارسة المهن التي يلزمها بها ينتقلون إلى هذه المرحلة التي سماها المؤرخون بـ حمالة[2] أما الناصري فإنه يقول عن هذه المرحلة "... **إذا أكملوا السنة نقلهم إلى سوق البغال الحاملة للأجر والزليج والقرميد والخشب..**" [3].
- **المرحلة الثالثة** : وهي تعتبر نهاية النصف الأول من المرحلة وفي هذه المرحلة يقوم المتدربين بأعمال ضرب ألواح الطابية[4].
- **المرحلة الرابعة** : وبهذه المرحلة يصلون إلى المرتبة الأولى من الجندية[5] فيأخذون كسوتهم ودفع إليهم السلاح يتدربون به على الجندية[6].
- **المرحلة الخامسة** : وهي المرحلة التي يتم فيها تدريبهم علي ركوب الخيول دون سروج، فيتمرسون علي ركوبها كذلك يتعلمون الرماية والمناوبة في الحراسة[7].
- **المرحلة السادسة** : وهي المرحلة ما قبل الأخيرة, وفيما تدفع لهم السروج فيركبون بها ويتعلمون الكر والفر والثقافة في المطاعن والمراماة وعلى صهواتها حتى إذا أكملوا سنة بعد ذلك صارو في عداد

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري , المرجع السابق، ج7، ص56.

(2) إدريس أبو إدريس : المرجع السابق، ص14.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج3، ص57.

(4) أبو القاسم الزياني : **البستان** : ص170

(5) إدريس أبو إدريس : المرجع السابق، ص14.

(6) محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، **ج1** المصدر السابق : ص299.

(7) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : **فصل بعنوان بيان تربية أولاد عبيد الديوان**، المصدر السابق، ج7.

الجند المقاتلة وحتى قراءة القصص والسير لأبطال المسلمين لكي تترسخ بطولاتهم في أذهان العبيد[1].

- **السنة السابعة** : وفي هذه المرحلة إذا أتموا السنة السابعة أصبحوا من عداد الجند فيُخرج لهم السلطان البنات اللاتي جاءوا معهم، ويأخذ كل واحد من الأولاد واحدة من البنات ويدفع للرجل عشرة مثاقيل مهرها. وللبنت خمسة مثاقيل، ويسجل رئيسا عليهم واحدا من أباءهم الكبار، ويأخذ له ما يبني به سكنه والنوائل[2]، لأصحابه ويوجههم للمحلة بمشرع الرملة فيكتبون في ديوان العسكر[3].

قد كان السلطان مولاي إسماعيل؛ حسب روايات المؤرخين، يسهر بنفسه على تكوين وتدريب جيش البخاري واستعراض المشاة والفرسان، بعد تكوينهم حتى يتسنى له معرفة قدراتهم القتالية، فيخضعهم لخططه العسكرية التي كانت تعتمد على إستراتيجية الهجوم والمناوشة، والمباغتة بواسطة فرق المشاة والفرسان، الذين كانوا يتقنون الحرب الهجومية بفعالية أكبر، حيث اتسم ذلك الجيش بحاسة حربية دقيقة ومهارة واحترافية في قيادة الهجمات ونصب الكمائن وإتقان مسألة الحصار وفكه[4] واستعمال مختلف الأسلحة الخفيفة والثقيلة من المجانيق والمهاريس والمدافع والكور واستخدام أحدث تقنيات وآلات الحصار كما وظفت المدفعية[5].

ولقد وظف المولى إسماعيل السلطة المركزية بصفة دائمة داخل القبائل وذلك بوضع جيش العبيد في المراكز أو المناطق الحساسة أو المهمة والحيوية في الجهات التي تخضع لها وحيث أنها كلما

(1) أبي عبد الله محمد بن احمد الكنسوسي : ج1، المصدر السابق ص127/ينظر عبد الحق المريني : المرجع السابق، ص97.

(2) النوائل : وهي المساكن غالبا ما تكون مستديرة محدودبة السقف تصنع من القصب والطين والقش والتبن، أبو القاسم الزياني : **البستان** : ص37.

(3) عبد الكريم الفلالي، ج 4 المرجع السابق، ص148.

(4) عبد الرحمان الفاسي : **منتخبات من نوادر المخطوطات**، مطبعة فضالة، المحمدية 1978، ص17.

(5) المدفعية : تعرف تاريخيا بأنها ألة تستعمل في الحرب لإطلاق النار مقذوفات كبيرة الحجم، وتتنوع منها مدافع السفن، ينظر إحسان الهندي، **العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، مركز الدراسات العسكرية، دمشق 1996م.

اخضع منطقة بني بها قلعة وعمرها بالعبيد بنسائهم وأولادهم ووظفهم كذلك بالفلاحة إلى الجانب العسكري وقد قسمهم إلى قسمين إل فرسان ومشاة من الرماة الذين كانوا بدورهم مقسمين إلى عدة فرق[1].

بشكل كبير في المعارك والمواجهات وبعد تكوين وتدريب وتخرج مختلف المكونات وتقسيمها إلى فرق ومجموعات، وتحديد مهامها، عمد السلطان المولي إسماعيل على إضفاء الصبغة الدينية للعلاقة بينه وبين جيشه الجديد، الذي يعتبر السلطان قائده الأعلى، وتلزمه الطاعة التامة له، بعد حفل أداء القسم على خدمة الإسلام والسلطان على صحيح البخاري[2].

لقد كان السلطان مولاي إسماعيل بنهجه الجديد، يرمي إلى تأسيس جيش مغربي مستقل عن كل تجاذب سياسي، وقادر على أن يحقق الأهداف المسطرة، ويكون تحت سيطرته وينفذ أوامره ويضمن بالتالي أمن واستقرار البلاد، وقد تمكن بالفعل هذا السلطان من إنجاز مشروعه السياسي والاقتصادي والعسكري، فأصبحت المؤسسة العسكرية بفضل القيادة العامة للسلطان مولاي إسماعيل حاضرة في جميع ربوع المغرب بسبب التوزيع المتقن الذي اعتمده بجعل الجيش يتدخل في كل ما من شأنه المساس بأمن واستقرار البلاد، وانتشار الحاميات العسكرية في مختلف المحاور والطرق الإستراتيجية والحيوية وبالجبال والسهول والوديان[3].

وتعتبر الفرق المكونة لجيش عبيد البخاري من نخب الجيش المغربي نظرا للتكوين الصارم الذي خضعت له، والمراقبة المستمرة التي كان يقوم بها السلطان بنفسه لمختلف وحداته، حيث يكون العقاب شديدا خلال تقصير أحد القواد أو المسؤولين العسكريين عن أداء مهامه، لذلك كانت النتيجة الانضباط التام للقانون العسكري الذي سنه ,تشبهاً بالجيش الانكشاري إن لم يكن صورة

(1) ثريا برادة، المرجع السابق، ص 85.

(2) يوسف الكتاني : **المولى إسماعيل رائد الدولة العلوية الشريفة**، العدد278، نسخة محفوظة من موقع واي باك مشين ،في 06 يناير 2014.

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج 7، ص120.

منه[1]، وقد تلقى هؤلاء العبيد كما أسلفنا الذكر تكوينهم في مشرع الرملة ثم بعدها تنقلوا إلي المحلة بقرب سيدي سليمان,وبعدها رحلوا إلى مكناسة[2]، وسن السلطان مولاي إسماعيل نظاما جديدا في مجال الدفاع والتحصينات وتقسيم المغرب إلى ثلاثة مقاطعات عسكرية وهي تافيلالت ومراكش وفاس، وفيما يخص التكتيك الحربي الذي لقن للجيش المغربي آنذاك والذي كان السلطان مولاي إسماعيل يشرف بنفسه عليه، فقد اعتمد على خطة الهلال وذلك بتقسيم الجيش إلى صفين تشكل فرقة الفرسان جناحيه، يستقر السلطان وحرسه في وسط الهلال تتقدمه المدفعية، في حين يقوم المشاة والرماة بالمناوشة والمناورة، باستخدام أسلوب المباغتة وتمويه العدو بالخدع واستغلال المجال الجغرافي واتجاه الرياح والغبار وأشعة الشمس، وتنويم الخصم بالقيام بحركات فروسية، وإطلاق أصوات مرعبة والتظاهر بالانطواء، كلها إستراتجية تنم عن فكر عسكري متميز في مرحلة حساسة من تاريخ المغرب الحديث. وهي إستراتيجية ناجحة بكل المعايير، فقد تمكن هذا السلطان الكبير أن يسترجع مجموعة من الثغور المغربية المحتلة[3].

3-الحياة الاجتماعية للعبيد :

لم تكن خطط السلطان مركزة علي فئة الذكور البالغين من هؤلاء العبيد، بل استغل أبنائهم وبناتهم، ودربهم منذ صغرهم. حيث كانت الإناث يوزعن على نساء السلطان والمكلفين بأداء مهمة التربية والآداب الملكية، وذلك لتهذيب أخلاقهن، والتأدب بالآداب السلطانية، وتعلم جميع أنواع الأشغال البيتية الملكية مثل : الطبخ والخياطة وكان الباشا يسجل اسم وسن كل آمة. وظل المولى إسماعيل يراقب ويوجه النصائح للمسؤولين ويحضهم على تربية وتأديب الإماء، حاثا إياهم على عدم السماح لهن بالخروج من دون فائدة، متوعدا من ضيع آمة أو فرط في تعليمها ورعايتها أن

(1) عبد الله العروي :المرجع السابق، ص498

(2) عبد الحق المريني : المرجع السابق، ص 99.

(3) نفسه.

يقطع رأسه، كما جاء ذلك مفصلا في الظهير الملكي الذي كتبه[1] كان يتم تزويج تلك البنات بذكور جيش البخاري. خاصة عند الانتهاء من مراحل التدريب والتكون وكان الهدف من وراء هذه السياسة تكاثرهم، وتزايد عددهم ليكونوا دائما في خدمة هذا الجيش الخاص، وفي خدمة أهداف المولى إسماعيل، واستمر هذا التزاوج والتوالد سنوات طويلة تكون عبرها عددا ضخما من الجنود ملأ بهم السلطان الثكنات العسكرية وعمر به الحصون ووزعه على جميع أجزاء البلاد للبناء والعمران[2].

كما أن المولى إسماعيل رفع من شأن العبيد إلى حد العقاب الشديد لكل من يتعرض لأحد منهم بسوء ولو دفاعا عن نفسه، ومهما كانت مرتبته في المجتمع وتخصيص قاضيا لهم، وقد نضرب مثالا بحادثة قتل موظف أو عامل فاس لدى المولى إسماعيل وهو عبد الحق الرويسي[3]، الذي قتل عبداً من عبيد الدار لأنه دخل بدون إذن فوجه السلطان من أتى به مكبلاً من فاس إلى مكناسة، ورغم تشفع العلماء للعفو عنه وإظهار السلطان أنه عفا عنه فقد قتله بعد ذلك وكان القاضي الذي عين للحكم في قضايا العبيد هو الفقيه محمد العياشي[4].

(1) عبد الرحمن بن زيدان : **اللمنزع اللطيف**، ص ص، 133، 132.

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق ,ج7، ص120.

(3) عبد الحق الرويسي : ينتمي إلى أسره حظيت بوجاهة كبيرة للسلطان المولى إسماعيل غير أن سوء تصرفه أودى به إلى الموت علي يد المولى حفيد بمكناسة وذلك في محرم 1113هـ/1701م، ينظر :

S.IH.M,2eS france,T4 ;P525

(4) أبي عبد الله محمد بن احمد الكنسوسي : ج2، المصدر السابق، ص 60.

المبحث الثالث :

مكانة جيش البخاري في تاريخ المغرب

1-رأي علماء الدين في تكوين جيش عبيد البخاري :

بمجرد إعلان المولى إسماعيل نيته بتأسيس جيش البخاري، تصاعد الخلاف بينه وبين علماء المغرب، وعلى رأسهم علماء فاس. وتركز الخلاف حول نقطة أساسية تتعلق بالعناصر المكونة للجيش : العبيد والحراطين. ففي الوقت الذي لم يقع أي خلاف حول الفئة الأولى (العبيد) وقبل العلماء شراء السلطان لها بذريعة أن أفرادها خالصوا العبودية من حق السلطان شراءهم وفق الضوابط الشرعية، عارض العلماء عملية شراء الحراطين، معتبرين إياها استرقاقا للأحرار. وكان هؤلاء الحراطين إما من العبيد المعتوقين أو من أبناء العبيد الذين كانوا ضمن جيش المنصور الذهبي، وهم في الحالتين كلتيهما أحرار. أما السلطان فاعتبر أن عملية تمليكهم من جديد ودمجهم ضمن الجيش لا تعدو كونها إرجاعا لهم إلى أصلهم العبودي. وهو ما رفضه العلماء بقوة، فكانت المواجهة[1].

- **موقف السلطان من العلماء وتوبيخه لهم** : حاول السلطان جاهدا، في البداية، أن يفسر للعلماء حقيقة مشروعه. ونجده في مراسلاته لشيخ الجماعة محمد الفاسي[2]، يشدد على أن الهدف من تأسيس جيش البخاري هو «**حماية بيضة هذه الأمة**». ولما فيه من «**المصلحة العامة التابعة للمسلمين**». وشكا السلطان للشيخ تقاعس المدن والقبائل في إمداده بالجند، وهو ما دفعه إلى

(1) ثريا برادة : المرجع السابق : 79/ينظر : محمد الضّعيف الرباطي : المصدر السابق، ص79.

(2) محمد الفاسي : هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري. ولد بفاس في 17 جمادى الثانية عام 1040هـ "21 يناير 1631" وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، قرأ عبد الرحمن الفاسي على كثير من علماء فاس في وقته، على رأسهم والده سيدي عبد القادر الفاسي، وعبد الرحمان ابن القاضي، ابن عم المؤرخ الشهير أحمد ابن القاضي، ولد بفاس سنة 1509/999، وكان عالما مشاركا، وكانت له دراية كبيرة بعلم القراءات الذي كان يدرسه في جامع القرويين المبارك، توفي بفاس سنة 1082/1672، ودفن بضريح سيدي علي الصنهاجي، ينظر محمد الصغير اليفراني : **صفوة من انتشر**، ص ص، 310-314.

اعتماد العبيد والحراطين في الجيش[1].كما شكا له أيضا تماطل العلماء في مسايرته في مشروعه: «**فهؤلاء طلبة الوقت مقصرون عن الخوض معنا في هذا الفن تقصيرا أدى بهم إلى التشكيك. ولم يزيدوا، مع كثرة البحث منا والتنقير عن أصول هذا الفن لمسائله والاستيعاب لفروعه وأصوله وتعريف مفصله من مجمله، إلا نفورا وشكا**»[2].

ثم أعلن له إنه ماض في مشروعه دون رجعة، متحديا العلماء المعارضين تقديم البديل: «**وقلنا لهم إن أنتم قلتم لا يسوغ شراء هؤلاء الوصفان لهذه المصلحة، جميعَ أهل هذا المغرب من أهل مدنه وقراه أرونا من يقوم بهذا الوظيف الديني، فأفتونا بفتوى تبيح لنا ترك اقتناء هذا الجند واتخاذه**»[3].

بدأ الخلاف بين الطرفين يأخذ أبعادا تصعيدية ففي هذه السنة يقول صاحب «نشر المثاني»: «**ورد على فاس كتاب من عند السلطان بتوبيخ العلماء والقاضي وألزمهم الموافقة على تمليك العبيد الذين في الديوان**» وفي السنة الموالية، حاول السلطان وضع العلماء أمام الأمر الواقع، فأرسل قائده عبد الله الروسي إلى فاس ليتولى مهمة جمع حراطينها، لكنه تراجع عن ذلك. وفي سنة 1698م وردت على فاس ثلاثة كتب من السلطان تحمل الأمر ذاته : توبيخ الفقهاء والقاضي لعدم امتثالهم لمشروع تمليك الحراطين. وفعلا، كان إصرار علماء فاس على موقفهم كبيرا، فإلى حدود سنة 1702، «**خرج السيد محمد عليلش من فاس، ولم يكتب له أحد من الفقهاء ما أراد على شأن الحراطين**»[4].

(1) ثريا برادة : المرجع السابق، ص 78.

(2) محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**، ج2، ص78.

(3) أبو القاسم الزياني : **البستان الظريف**، ص180/ينظر كذلك ثريا برادة : المرجع السابق : ص72.

(4) محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**، ج3، ص117.

أولا : موقف العلماء من السياسة العسكرية الإسماعيلية:

أ)- موقف الفقيه اليوسي :

رفض الفقهاء التوقيع على ديوان تمليك الحراطين مع بداية العملية سنة 109هـ/1698م ومع ذلك فإن السلطان لم يتراجع عن سياسته بل إنه وجه لهم كتابا يوبخهم فيه على عدم موافقتهم على تمليك العبيد، وقد قرأ عليهم هذا التوبيخ بالزاوية القادرية . غير أن العملية ستدخل مراحل جد عصيبة بداية من سنة 1120هـ/ 1708م، حيث سيستمر السلطان في تمليك الحراطين بمكناس وسيتوجه القائد الروسي مرة أخرى من جهته إلى طلب الفقهاء إجازته بخصوص تمليك الحراطين[1] الأمر الذي رفضه بعض فقهاء فاس مستندين في ذلك إلى فتاوى فقهية قديمة وأحاديث نبوية تحرم تمليك الأحرار مما أدى إلى غضب السلطان منهم ودخول القضية في طورها الحاسم والصعب كما سنوضح ذلك.

عموما فلعل أبرز الفقهاء الذين عارضوا السلطان فيما يخص تمليك الحراطين نجد العالم الفقيه اليوسي[2] الذي شهد له المؤرخون والدارسون بجرأته وشيوخه في العلم، ومدى تحمله مسؤولية الدفاع عن مجتمعه حتى أن القادري قال في حقه : " **إن ماهرا في المعقول والمنقول بحرا زاخرا لا تأخذه في الحق لومة لائم، وقد بالغ في الذب عن الشريعة والحرص على تقرير أصولها الرفيعة، فقد كان سيفا من سيوف الدين وقاطعا لحجج المبطلين، لا يخاطب السلطان إلا بصريح الحق مشافهة ومكاتبة** "[3].

(1) عبد الكريم الفلالي : ج 4 المرجع السابق، ص148/ينظر كذلك محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**، ج2 ص 117.

(2) اليوسي : هو الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف : (1040هـ/1102هـ)، وكنيته اليوسي أصلها اليوسفي من قبيلة أيت يوسي هي فرع من آيت يدراسن وهي من القبائل البربرية الصنهاجية، التي كانت تقيم فيما بين ملوية العليا، كان من احد علماء وأساتذة الزاوية الدلائية استقر نحو20 سنة بها، انتقل إلي الكثير من المناطق للعلم وإلقاء المحاضرات، ينظر محمد الأخضر مبرز السربون : المرجع السابق :ص122، الإحالات رقم 136

(3) محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**، ج2، ص304.

وقد أبدى اليوسي معارضة شديدة لمسألة تمليك الحراطين معتبرا أن جميع الناس سواسية عند الله وعباده بما فيهم السلطان ،الذي ينبغي أن يتحلى بصفات العدل والرحمة وأن يتجنب الجور والطغيان لأن هذا من أسس الخلافة. وهو ما يؤكده في رسالته المعروفة ببراءة اليوسي، بشكل صريح بقوله : "**فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له ،والناس كلهم عبيد له، وسيدي واحد من العبيد ،وقد ملكه الله تعالى عبيده ابتلاء وامتحانا ،فإن قام عليهم بالعدل والرحمة ،والإنصاف والإصلاح ،فهو خليفة الله في أرضه. وظل الله على عباده، وله الدرجات العالية عند الله...**" [1].

وبالمقابل فإن اليوسي يقترح على السلطان أن يسلك سلوك العدل في علاقته برعيته ،وأن يعمل كذلك على الحد من جور العمال والجباة الذين عاثوا في الأرض فسادا وأفسدوا على الناس دينهم ودنياهم "**فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية .فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم .وامتصوا المخ ولم يتركوا للناس دينا ولا دنيا : أم الدنيا فقد أخذوها.وأم الدين فقد فتنوه** "[2].

ورغم معارضة اليوسي لسياسة السلطان العسكرية فإنه لم يغفل أساليب اللياقة والاحترام أثناء مراسلته إياه وتشبثه ببعيته والتسليم له، ورغم أن السلطان حاول أن يرمي عليه ببعض التهم كنتيجة لعدم موافقته على تمليك الحراطين فإن اليوسي، كان دائما يحاول أن يظهر ولاءه المطلق له، وحبه له كما هو واضح وموضح في رسالة اليوسي الكبرى ؛حيث يربط العلماء ووجودهم بالسلاطين على

(1) فاطمة خليل القبلي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسفي**، ج1، ط1، دار الثقافة، دار البيضاء 1401هـ/1981م، ص40.

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المرجع السابق، ج7، ص88.

مر العصور. يقول اليوسي ما نصه : **"والله أني لو لم أرد الخير له ولعقبه لم أفه بهذا الكلام، ولا نبهت على هذا المرام. فإن هذه والله هي مفاتيح الفلاح والنجاح"**[1].

ب)- موقف الفقيه أبي حامد بردله :

إلى جانب اليوسي فقد برز الفقيه أبي حامد بردلة[2] الذي كان له أيضا رأي مخالف تماما لما كان يريده السلطان من خلال تمليك الحراطين، كما هو واضح من خلال رسالته الجوابية للسلطان إسماعيل[3]، التي يتبنى فيها أسلوب لطيف، معتبرا نصيحته من واجب العلماء على أئمة المسلمين وعامتهم عملا بالحديث النبوي الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : **"الدين النصيحة"** عملا بواجب النصيحة لأولي أمر المسلمين إذن، فقد استجاب الفقيه بردلة لنداء السلطان الذي استشاره في نازلة تمليك الحراطين أسوة بعلماء عصره، نظرا لدورهم كحماة للشرع الإسلامي ،وجب عليهم تقويم سلوكات السلاطين وتذكيرهم بشرع الله، بأسلوب لابق وبكل لطف، كما هو موضح في افتتاحية الرسالة التي جاءت كما يلي : **"العلاء السني مقامة، والكمال الأحد شأوه، والمتلألئة أيامه، كوكب لاح من فلك الخلافة فأضاء الكون أنواره..."**[4].

(1) أبو عبد الله محمد بن احمد الكنسوسي : ج1، المرجع السابق، نص الرسالة كاملا في ص138./ينظر كذلك فاطمة خليل القبلي : المرجع السابق : ص133.

(2) بردلة : هو محمد العربي بن أحمد بردلة من أصل أندلوسي وهو شخصية بارزة في الفقه والقضاء في العهد العلوي ولي خطة القضاء في العهد العلوي، ولي خطة القضاء والإفتاء مرارا، كما تصدر للتدريس بالعريين وفي آخر عمره تولى نظارة أحباس مدينة فاس، توفي في 15رجب 1133هـ/ماي1721وكان مولده في جمادى الثانية 1042هـ/15ماي 1632م، ينظر محمد الطيب القادري : **نشر المثاني** : ج 3، ص247/ عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف** : ص219

(3) نفسه : هامش رقم 6.

(4) هشام الجعدي : **معارضة العلماء لسياسة السلطان إسماعيل العسكرية ومحنة العالم جسوس (1109هـ-1221هـ)**، العمق المغربي، العدد144، المغرب، 1 فيفري 2017.

يقول القاضي العربي بردلة في فتواه، التي يوجد نصها الكامل في كتاب «المنزع اللطيف» لابن زيدان، إن «**تكثير الجيوش لا يخفى أنه لا يتوقف على استرقاق، بل هو طوع اليد بدونه» وبما أن فعل الاسترقاق حصل فعلا، فقد «تعين على كل من له ملابسة بالعلم الشرعي إنهاء هذا الخطب النازل الوقتي الذي هو المجاهرة باستعباد الأحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي**"[1].

2- الخلاف على الحراطين :

– محنة العالم جسوس :في سنة 1708م/1120هـ، خلال هذه السنة، قدم إلى فاس مجددا القائد عبد الله الروسي، و«**حاز الفقهاء في تمليك الحراطين ودون الدواوين وأنزل أكثر الفقهاء عليها وامتنع البعض من النزول عليها... فلم يزل يضيق على من امتنع من النزول، فلم ينفعه ذلك فيهم**». وكان على رأس الممتنعين عن التوقيع ثلاثة من كبار علماء فاس : قاضي المدينة العربي برذُلّة، ومحمد مَيّارة[2]. وعبد السلام جسوس[3]، وأمام إصرارهم، لم يجد القائد بدا من نقل الجميع

(1) عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف** : ص287.

(2) محمد مَيّارة : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الفاسي، ولد سنة 999هـ بمدينة، فقيه مالكي, كان إماماً علامة متبحر في العلوم وكان ثقة أمين معروف بالورع والدين, أخذ العلم عن كبار علماء عصره منهم : عبد الرحمن العارف الفاسي الفقيه العلامة عبد الواحد بن عاشر ,الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد المقري، العلامة القاضي أبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الغساني، العلامة النحوي أبو الفضل قاسم بن أبي العافية الشهير بابن القاضي، الفقيه سيدي محمد بن أحمد العياشي توفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأخيرة عام 1072هـ، و دفن بالدرب الطويل من مدينة فاس بمقربة من ضريح سيدي عزيز، ينظر لمحمد الصغير الإفراني : **صفوة من انتشر**، ص ص، 250-251 .

(3) عبد السلام جاسوس : هو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس ولد بفاس وتوفي بها، درس علي يد أكبر علماء عصره منهم، عبد القادر الفاسين والشيخ ميارة الأكبر، الشيخ الحسني اليوسي وأبي العباس بن الحاج وعلي الشيخ سلطان المصري عندما كان في طريقه إلى الحج، تصدى للتدريس بالمسجد الأعلى من العقبة بفاس القرويين وقراءة الاوراد به في جماعة، له تأليف جمع فيه أدعية نبوية وله أنظام جيدة ,توفي قتيلا في سجن فاس ودفن بروضتهم قرب سيدي أبي غالب، ينظر محمد بن الطيب القادري : **التقاط الدرر**، ص306/ عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص ص310-313/ينظر كذلك أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج7، ص94 / عبد الله كنون : المصدر السابق، ج2، ص180/ ينظر كذلك عبد الرحمان بن زيدان : **إتحاف أعلام**، ج4، ص100.

إلى مكناس لمقابلة السلطان، وحسم المسألة بين يديه. هنا أخذت الأزمة منعطفا خطيرا، وتحول لقاء العلماء بالسلطان إلى مأساة، سيكون الفقيه عبد السلام جسوس كبش الفداء في هذه القضية باعتباره واحد من المعارضين لتمليك الحراطين[1].

وقد كتب هذا الفقيه رسالة وضح فيها موقفه من القضية مؤكدا على إصراره بالجهر بالحق والتشبث بأحكام الشريعة الإسلامية، واستعداده للتضحية بنفسه في سبيل ذلك. وقد أثبت هذه الرسالة في كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي بعنوان : رسالة العلامة الشهيد عبد السلام جسوس على السلطان إسماعيل في شأن العبيد، وبالعودة إلى متن الرسالة فإن الفقيه يؤكد على أن النصح : **"من الواجبات المؤكد أمرها، والتكاليف المعظم في الشرع خطرها وقدرها"**[2]. هذا النصح الذي يلزم بشكل أساسي : **"المقلدين لكافة أمور الأمة وأعباء الدين"**. مع ذكر الأحكام الشرعية لهم وبيانها وإشهارها وإعلانها... وبالمقابل فإن جسوس يدعوا العلماء الى تبيين الأحكام الشرعية وإعلانها كما نصت على ذلك الشريعة الإسلامية[3].

أما فيما يخص موقفه من استرقاق حراطين فاس فيمكن أجماله في النقط التالية :

إمكانية تكوين الجيش وتكثيره بطرق أخرى غير التمليك إذ أن الأمر **"لا يتوقف على استرقاق،بل هي طوع اليد بدونه** "حرمة استرقاق الحراطين لكونهم أحرار **"كغيرهم من سائر أحرار المسلمين، حريتهم معلومة لا اشتباه فيها بوجه"**، عدم اعتبار ما يقع من إقرارهم على أنفسهم أو شهادة غيرهم عليهم بأنهم أرقاء،لأن كل ذلك إنما يقع منهم أو من غيرهم تحت الضغط والإكراه : **"كيف وقد وقع الإعلان للجم الغفير والملأ الكثير من أهل العلم وغيرهم مشافهة من المنتصب لهذا الأمر والمعين له، بأن هذا الاسترقاق إن لم يقع الانقياد له، والإذعان انتقم**

(1) محمد الضّعيف الرباطي، المصدر السابق، 86/ينظر كذلك خالد الغالي : **محنة فقيه عارض السلطان**، مجلة المغرب كما كان زمان، بتاريخ : 2014/11/14م.

(2) عبد الله كنون : المصدر السابق، ج3، ص778.

(3) محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**، ج2، ص304.

من الكافة، ونكل بهم، وعوقبوا العقاب الشديد بأن ينزل بهم ما لا يستطاع من الأمور الفظيعة من قتل نفوس، وهتك حريم، وإلزام ما لا يطاق من قناطير الأموال"[1].

هكذا يضع الفقيه جسوس في هذه الرسالة موقفه من قضية تمليك الحراطين في إطاره الشرعي ويذكر بأنه إذ يجهر السلطان بمعارضته يمارس حقا من حقوقه المنصوص عليها شرعا، ويؤدي واجبا التزم به من طرف الله سبحانه وتعالى، وهو تبيان الأحكام الشرعية، وعدم كتمانها وتبديلها، وبذلك يكون موقفه هو موقف الحق والمشروعية [2].

ولا يفوت فقيهنا الفرصة على نفسه كي يدين المواقف المتخاذلة التي اتخذها بعض العلماء من هذه القضية سواء أولئك الذين تهربوا من الإفتاء فكتموا بذلك الأحكام الشرعية ،وتعرضوا للعنة الله ووعيده، أو أولئك الذين أفتوا بالجواز فكفروا بتبديلهم للأحكام الشرعية حيث قال الفقيه ما نصه : **"فأنى يسع أحد العدول عما تقتضيه هذه القواعد، أم كيف تنتكب هذه النصوص ،ويسمى ما ينتحل بتمويهات وتلبيسات من الصور الفظيعة التي لا حقائق لها ولا وجه استقامة يحوم حولها ،ولا شيء منها ولا من متعلقاتها بجار على قاعدة من قواعد الشرع، كما لا يخفى على من له أدنى ملابسة لأحكام الشريعة ويدعي ارقاقا وتبايعا تستباح به الأضباع، وهل هذا إلا لي في الأحكام وتغيير وتبديل وتحريف وإلحاد هو كفر لمتجشم ارتكابه"**. وبهذا يلخص جسوس موقفه من تمليك الحراطين[3]، هذا الموقف الذي سيكون له عواقب وخيمة عليه شخصيا كما سنوضح ذلك بكل تفصيل.

(1)نقلاً عن أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج7، ص90.

(2) نفسه : ص90.

(3) عبد الكريم الفلالي، ج 4 المرجع السابق، ص163.

ثانياً : رد فعل السلطان على الطرح الفقهي ومحنة العالم جسوس

عموماً ففي خضم رفض العلماء التوقيع على ديوان تمليك الحراطين،كان الغضب يزداد عند السلطان ولا أدل على هذا مضمون الرسالة العنيفة التي بعث بها إلى شيخ الزاوية الفاسية[1] حيث أن السلطان يتهكم على العلماء ويقلل من قيمتهم وينعتهم بأسوأ النعوت ويشكك في مقدراتهم العلمية، معتبرا إياهم مجرد طلبة ليست لهم القدرة على الخوض معه في نقاش جاد ومسئول حول مسألة الجيش. ويصفهم بالعجز في تقديم أي بديل له لمواجهة هذا المشكل المعضلة الذي يؤرقه. يقول السلطان موضحا موقفه وسبب تمسكه بهذا الجيش : **"ورأينا هؤلاء الطلبة مقصرين معنا في هذا الفن تقصيرا أدى بهم على التشكيك ولم يزيدوا مع كثرة البحث هنا والتنقيب عن أصول هذا الفن لمسائله والاستيعاب لفروعه وأصوله وتعريف مفصله من محمله إلا نفورا وشكا مع تحققنا أنه والحمد لله على جادة قويمة موفقون من الله تعالى... فرأيناهم ساكتين لا ينطقون بحق ولا يأمرون بمعروف ولا ينهون وإذا نحن بحثناهم عن أمر لا يقنعون في الجواب وأعيانا أمرهم مع أن والحمد لله مقعودون بالحق ومجبولون على قبوله والعمل به فمن أجل ذلك خاطبناهم بهذه الكراسة تعريفا لهم بما نحن عليه من الجد وبسبب اقتنائنا لهذا الجند من الوصفان وقلنا لهم إن أنتم قلتم لا يسوغ شراء هؤلاء الوصفان لهذه المصلحة جميع أهل هذا المغرب من أجل مدنه وقراه أرونا من يقوم بهذا الوظيف الديني فأفتونا بفتوى تبيح لنا ترك اقتناء الجند واتخاذه رأسا"**[2].

يعتبر السلطان كذلك أن أجوبة العلماء ليست واقعية "**وهذه الأجوبة التي توجهت إلينا وردت علينا... لم تطابق المقصود والمعهود**" ومن ذلك فإنه راهن على شيخ الزاوية الفاسية بسبب التقارب الحادث بينهما، كي يقوم بطعن فتاوى المعارضين التي لم ولن يقبلها السلطان، لأنها

(1) ثريا برادة : المرجع السابق : 78.

(2) نقلا عن أبو القاسم الزياني : **البستان**، ص180.

حسبه تقوم على قصور في النظر والرؤيا[1]..بعد تلقي السلطان لجواب العلماء خاصة جواب الشيخ بردلة ثارت ثائرته، ومحمد بن عبد القادر الفاسي إبداء رأيه في هذه الرسالة. بموجب رسالة موجهة إليه بتاريخ 2 محرم 1109هـ/1698م .يقول فيها السلطان ما نصه : "**فلابد من نظركم فيما أجاب به الغير وتصحيحكم لما تضمنته الأجوبة التي وردت من قبل القاضي بردلة وصاحبه إذ لا يمكن الاعتماد على مجرد فتواهما دون مطالعتكم وقبولكم أوضح القبول لأنه وإن كان متسما بسمة العلم فإنه مقصر فيه والمحبة الحاملة أن يصدع صاحبها بالحق الله تعالى هو العالم بالضمائر ومكنونات السرائر فإنا نخاف من الله تعالى أن اتهمناه بقلتها ولا نتحمل أمر ثبوتها وكان من الواجب والصواب ما هو مطلوب من الجواب : بمجرد الحق وصميمه وطول الكلام وجلب القول وفتاوى العلماء وصريح المذهب وإصابة المفصل ويتبع ألفاظ السؤال والجواب عنها حرفا وفعلا ليكون الجواب مطابقا للسؤال مزيحا كل أشكال مفصحا عن الحق الذي لا يعدل عنه إلى غيره سبحانه وتعالى جبلنا عليه وأرشدنا إليه**" انتهى[2] .

ومن المؤكد أن حاشية السلطان حاولت أن تجد الوسائل الناجعة لإنهاء هذه الأزمة ولذلك ارتأت البدء بالفقهاء المعارضين في هذا الإطار جاء رسول السلطان إليهم باستدعاء للرجوع إلى مكناس قبل متم ليلة واحدة على وصولهم إلى فاس[3].

في الوقت الذي جاء على لسان السلطان أنه عزم على إهلاك عليلش. وقد ركز السلطان في مخاطبته للعلماء على توبيخهم بسبب تحريضهم على الفتنة، إضافة إلى تذكيرهم بحدود التزاماتهم تجاه المخزن وذلك بشكل فردي وبأسلوب زجري دون أن يتحدث أحد أو يرد على السلطان . لكن عندما ولى السلطان نظره إلى الشخصية الرابعة من هؤلاء الحاضرين وهو العالم جسوس، بادره الشيخ بالكلام قائلا : "**أنا بالله والشرع معك آ مولاي وجعل يكرر ذلك. فقال له السلطان :تكلم**

(1) عبد الكريم الفلالي، ج 4، المرجع السابق، ص160.

(2) ثريا برادة : المرجع السابق : 79.

(3) عبد الكريم الفلالي : ج 4 المرجع السابق، ص161.

مع عليلش فأجابه الشيخ : لا كلام لنا معه ولا بد يا مولانا هل تسمع منا شرع الله ؟ فقال له السلطان :هل كتبتم ذلك لنا فانخرط الشيخ في قراءة ما كتبوه أثناء قراءة عبد الله الروسي بفاس لجمع الحراطين وبعثوه إلى سائر الأوقاف"[1].

وعلى الرغم من أن السلطان أبدى رغبة كبيرة في عدم الإنصات لكلام الفقيه جسوس إلا أن الأخير حاول أن يكمل تلك البراءة قاطعا مع كل خوف خاصة عندما أمسك بالسلطان من ثوبه حتى مزقه ليمنعه من القيام ويلزمه على سماع كلامه مما أزعج السلطان وحمله على الغضب من الشيخ فخاطبه : **"كيف تتجاسر علي في مجلسي ملكي"** وعندها قام الكتاب والحاصرون والقائد الذي قال للسلطان: **"نصرك الله زاغ بالمال الذي له فدفعه السلطان إلى القائد وقال له اقبض منه عشرين قنطارا"**[2].

ومن جهته فإن صاحب تاريخ الدولة السعيدة ينقل رواية نقلا عن ابن زيدان الذي نقل بدوره عن الزياني. يقول صاحبنا في هذا المجلس : **"وفي آخر المجلس قام مولانا إسماعيل مغتاظا فقبضه الفقيه السيد عبد السلام جسوس من طرف ثوبه وقال له :اجلس تسمع ما قال جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثر ثوبه وخرج ،فقال له محمد بن قاسم عليلش :ما فعل بك ذلك إلا أنه حديث عهد بالسلام وذلك منه كراهة فيك وفي جدك ،فقبضه وأمر بتعذيبه"**[3].

هكذا تحولت القضية من معارضة التمليك إلى محنة الفقيه جسوس الذي رجع مكبلا بالحديد مع أسرته وسجن وضرب وأهين وعانى من أجل جمع المبلغ المطلوب بعد أن بيعت أصوله وأملاكه وأصبح أصحاب القائد يخرجون به إلى المحلات العامة ويكففون به الناس، هذا ما جاء به الضعيف

(1) عبد الكريم الفلالي : ج 4، المرجع السابق، ص161.

(2)نقلا عن محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**، ج2، ص205.

(3) محمد الضّعيف الرباطي : المصدر السابق، ص83 /عبد الرحمان بن زيدان : **المنزع اللطيف**، ص287./ينظر أبو القاسم الزياني : **البستان**، ص186.

الرباطي في تاريخ الرباطي ما نصه : "**ثم قبض على أولاد جسوس واستلب أموالهم ،وأجلس فقيههم الشيخ أبا محمد عبد السلام بن حمدون جسوس بالسوق مقيدا يتطلب الفداء ثم حمل مسجونا إلى مكناسة**". ولم ينج رفاقه بدورهم من المحنة والغرامة وخاصة العربي بردلة ومحمد ميارة، بعد أشهر قليلة من السجن، أطلق سراح الفقيه عبد السلام جسوس، وبدا وكأن المسألة حلت. فعاد الشيخ إلى درسه في المسجد. واستمر على هذه الحال أشهرا، إلى أن جاءه فجأة رسول القائد أبي علي الروسي يطلبه. هناك أمر به إلى السجن، ثم قتل خنقا ليلة الخميس 4 يوليوز 1709م. قبل موته ترك الفقيه عبد السلام جسوس بطاقة يكشف فيها سبب موته[1]. فلم يكن – يقول القادري في نشر المتاني – بين كتابته هذه الشهادة وموته على الشهادة إلا يومان[2].

3-دور جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل الأول :

ومما سبق نستطيع القول بأنه بات لجيش عبيد البخاري المكانة الأبرز داخل الدولة ,وذلك راجع لسياسة المولى إسماعيل التي عمل فيها علي تعبات المجتمع المغربي لفكرته، كما وقف بنفسه على تكوين هذا الجيش وأسلوبه الصارم والشديد أصبح لهذا الجيش دورا مهما للبلاد والعباد، وقد سار هذا الجيش وفق خطط المولى إسماعيل فكانت أول مهمة له هي :

1- توفير الأمن والاستقرار في البلاد :

وكما ذكرنا سابقا كانت البلاد في أيام بيعة المولى إسماعيل في حالة من الفوضى والنزاعات والصراعات حول السلطة خاصةً بين القبائل ومن يتزعم ويظفر بالحكم، ولكي يتحقق ذلك كان يتوجب علي المولى إسماعيل، إخضاع جميع الحركات التي وقفة ضده وقد سانده جيش عبيد البخاري

(1) محمد الضّعيف الرباطي : **تاريخ الضعيف**، المصدر السابق، 85.

(2) نفسه : ص85 /ينظر كذلك محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**، ج2، ص205.كذلك أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج7، ص90. يمكن الرجوع إلى نص البطاقة عند الناصري والقادري والضعيف وغيرهم، باختلافات بسيطة.

في إخماد نار الثورة ومن بينها : القضاء على ابن أخيه محرز بن حران، ثم أخاه الحران في 1683م، بعده أهل فاس الخضر غلان[1].

وبعدها أبو عباس أحمد الدلائي[2]، كما خرج عن طوعه أبنائه منهم أبي نصر الذي لم يتم تعيينه في أي منصب، وكان مولاي محمد العالم أحد أكبر أبناء السلطان علما وشأنا ونائبه على سوس، أعلن بدوره استقلال منطقته وسار نحو مراكش واحتلها، جاء الدور على مولاي زيدان الذي لم يتقبل مصير أخيه، فثار في مراكش رافضا سلطان والده، عزل المولى إسماعيل باقي أبنائه من الأقاليم التي ولاهم إياها .وقد برر أبو القاسم الزياني قسوة لمولى إسماعيل مع القبائل المتمردة على اعتبار الجهد الذي كلفوه للسلطان في تثبيت ملكه في المغرب، فهي **"قبائل لا تلين باللطف بل بالسيف والعنف"** [3]. إن توزيعه المحكم للجيش مكنه من تكوين جيشاً حاضراً في كل المناطق البلاد وقادراً على فرض الطاعة والنظام والأمن المخزني[4].

(1) أبو العباس أحمد الخضر المعروف بـ"الخضر غيلان". كان يتحدر من أسرة أندلسية وقاد ثورة متدرجة بدأت بتحرير بعض المناطق الشمالية للمغرب انطلاقا من القصر الكبير، بعدما كانت تحت سيطرة البرتغاليين، ودخل غيلان بعدها في مواجهة مع المولى رشيد، انهزم على إثرها وغادر إلى الجزائر، كما حصل على مساعدات عسكرية من الأتراك الذين بسطوا سيطرتهم على شمال أفريقيا باستثناء المغرب، ليتمكن من العودة إلى البلاد من أجل عرقلة نمو الدولة العلوية وتنفيذ مشروعه السياسي .ينظر محمد بن الطيب القادري، **التقاط** : ج2 ، ص 108، ينظر كذلك ثريا برادة : المرجع السابق، ص 72/ محمد حجي، **الزاوية الدلائية** : ص، ص237، 238.

(2) أبو العباس الدلائي، أحد أبناء قبائل الدلائيين، هو أحد الثوار الذين هددوا عرش السلطان مولاي إسماعيل بعد نيله مبايعة بعض القبائل الأمازيغية التي كونت سلطة مهمة هاجمت العديد من القبائل المجاورة لها بمناطق تادلة وسايس.إخضاعه لهذه القبائل ساهم في تعزيز قوة جيش الثائر الدلائي، الذي تمكن من هزم جيش السلطان في مرات عديدة، وفق بعض المصادر التاريخية التي حددت مكان هزيمته الأولى في فاس، حيث تجددت المواجهة مجددا مع جيش السلطان، ليقضي على ثورة أبي العباس الدلائي، الهارب بعدها للجبال، إلى أن تُوفي هناك, ينظر محمد حجي، **الزاوية الدلائية** : ص 261.

(3) عبد الله العمراني : **المولى إسماعيل بن الشريف** في دعوة حق، الرباط، المغرب، 1957م العددان : 194-195.

(4) عبد الحق المريني : المرجع السابق، ص100

وبتوفير هذا الجيش المطيع استطاع المولى إسماعيل أن يسيطر على جميع قادته خاصة من جيش الودايا والشراردة والنار، وأبناء عمومته والحركات المخالفة وخير مثال على ذلك :ففي سنة 1126هـ/1718م قام بقتل اربع قادة لجيشه وسبعة عشرة من العبيد في مشرع الرملة في عقر دارهم[1] بالإضافة إلى حركة سوس سنة 1086هـ/1678م ضد ابن أخيه محرز وقد اكتشف مؤامرة داخل جيشه فقتل قائد هذا الجيش بإضافة إلى الاستحواذ على دورهم و أموالهم[2] وبعد ما أطاح بالحركات المخالفة له وتكوين الجيش عبيد البخاري الذي كان له دور مهم في سيطرة المولى إسماعيل على المغرب ,وبعدما استتب له الأمر ألحاق بعض القبائل، خاصة قبائل الوداية وقبائل سوس وبعض قبائل الريف، بالجيش المخزني، مع تجريد القبائل الأخرى من السلاح.

لذا كانت أهم حركات المولى إسماعيل كانت ترمي بالأساس إلى أداء القبائل للضرائب وتجريدها من السلاح. ويستشف ذلك على الخصوص من خلال كل ما كتبه المؤرخون حول حركات هذا السلطان المتوالية والمتعددة.

وهكذا وصف الناصري تجريد المولى إسماعيل قبائل بني يزناسن[3] من السلاح كما يلي : **"ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وألف، ففي جمادى الثانية منها خرج السلطان من الحضرة في الجنود قاصدا بني يزناسن الذين تمادوا على العصيان فاقتحم عليهم جبلهم واعتسف ربوعهم وانتسف زروعهم وضروعهم، وحرق قراهم، وقتل رجالهم وسبى ذاراريهم، فطلبوا الأمان فأمن بقيتهم على أن يدفعوا الخيل والسلاح التي عندهم فدفعوها من غير توقف، وقاموا بدعوته جبرا عليهم، ثم نزل ببسيط أنكاد وحضر عنده قبائل الأحلاف وسقونة فأرجلهم من خيولهم**

(1) ثريا برادة : المرجع السابق، ص72

(2) نفسه : ص72

(3) بن يزناس : وفيه نقل العرب الشبانات وزارة وقوم كروم الحاج من الحوز لما كانوا عليه من الظلم والجور لأهل الحوز، فأنزلهم بوجدة ثغر المغرب وكتبهم في الديوان، وقيد عليهم العياشي بن الزوغر، الزراري، وأمره بالتضييق علي بن يزناس وإذا كانوا شيعة الترك فكانوا يغيرون عليهم ويمنعونهم من الحرث في بسائط أنكاد، ينظر أبو القاسم الزياني، **البستان**، ص 163.

وجردهم من سلاحهم وانتزعها منهم، وألزم أشياخهم أن يجمعوا له ما بقي بحلتهم منها ففعلوا ثم فعل بالمهاية وحميات كذلك، وانكفأ راجعا إلى المغرب"[1].

وبعدما جرد القبائل من السلاح والخيل استطاع إخضاع الجميع فكان الأمن في جميع أنحاء الوطن وبهذا الخصوص قال المؤرخ أبو القاسم الزياني **"اليهودي والمرأة كانا يسافران من وجدة إلى وادي النون دون أن يسألهما أحد عن وجهتما"** [2] ولضمان استقرار القبائل ومراقبتها؛ خاصة تلك المتمردة منها باستمرار؛ لجأ السلطان إلى بناء مجموعة من القلاع العسكرية والتي بنيت في مجملها أثناء حركاته إلى المناطق الجبلية كمنطقة الأطلس المتوسط أو المنطقة الشرقية [3].

2- تأمين الطرق التجارية:

اهتم المولى إسماعيل بتأمين الطرق التجارية ولضمان سلامة وامن المسافرين المسافرين، خلال تشييد مجموعة من القلاع لمراقبة أهم نقط العبور وإيواء المسافرين، يلاحظ أن أغلب هذه الطرق كانت مرتبطة بالقلاع والقصبات قد شيدت في مناطق إستراتيجية، وخاصة قرب الجبال التي كانت تطل على أهم المدن التجارية بالمغرب. فكانت تشكل بذلك حماية لهذه المدن من هجومات القبائل وغاراتها على القوافل، وهكذا استطاعت هذه القصبات أن تضمن، لفترة طويلة، تعميم الأمن والاستقرار بالبلاد ,فالجيش هو الذي كان يرابط على القبائل والمدن في كل القصبات والسبعين النتشرة بمجموع المغرب[4].

وصف القادري حكم المولى إسماعيل بقوله : «**كانت أيام المولى إسماعيل رحمه الله أيام أمن وعافية للرايح والغادي، والحاضر والبادي عدا من تقدم له أو لآبائه تلصص أو دخول في**

(1) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المرجع السابق، ج7، ص63.

(2) أبو القاسم الزياني : **البستان**، ص 185.

(3) عبد العزيز بن عبد الله : المرجع السابق، ص ص، 36 و37..

(4) عبد الكريم الفلالي : **التاريخ السياسي**، ج **4** المرجع السابق، ص167.

فتن،فكان عليهم شديدا وخلاصهم منه بعيدا، فقطع بذلك دابر جميع اللصوص وعلت فيها مراتب أهل الجاه والخصوص، كل منزل في محله وكل ذي أصل رجع إلى أصله،فكثرت العمارات في كل موضع، وأخمدت الشّرور،وتتابع الرخاء، وكثر العلماء والصّلحاء، وشمخ ملكه وطلع سعده بالنّصر والتمكين حتى دار فلكه» يعتبر أيام حكمه خيراً وعافية على المغاربة، فقضى على قطاع الطرق، وأرسى السلم في أنحاء المغرب، ونشطت في عهده الحياة الفكرية، والثقافية والحضارية.[1]

3- جمع الضرائب :

كان من بين وظائف الجند أيضاً تكليفها بجمع الخراج[2] والضرائب، وخاصة في البوادي والمناطق الجبلية وقد استفادت السلطة المركزية من هذا النظام؛ وذلك من خلال المناحي التالية :

تقريب الإدارة الجبائية من القبائل، ضبط عملية الجباية المحلية، استغلال جزء من هذه الضرائب لتموين القلاع، وفيما يخص هذه النقطة الأخيرة، أشار الناصري إلى ما يلي :

"**عيّن-أي المولى إسماعيل-لكل قبيلة تلك البلاد قلعتها التي تدفع به زكاتها وأعشارها لمؤونة العبيد وعلف خيولهم**"... [3] كما ارتفعت نسبة الضرائب على البضائع المارة بالأسواق والموانئ وكانت القبائل تتحمل نفقات مرور الجيش فوق أراضيها ومؤنه الحاميات المقيمة بالقصبات ولم يعف منها إلا قبائل الجيش والشرفاء وبعض الزوايا المساندة للسلطة المركزية [4].

---

(1) محمد بن الطيب القادري : **النقاط الدرر**، ص ص 336، 337.

(2) الخراج : في الشريعة الإسلامية نوع من الضريبة تدفع على الأرض وتدفع سنويا بمقدار معين من حاصلاتهم الزراعية أو من أموالهم، وهذا المقدار يسمى خراجاً ينظر : أبو عبيد القاسم بن سلام، **كتاب الأموال**، تحقيق : خليل محمد هراس، دار الفكر، (بيروت 1408هـ/1988م)، ص92- 93

(3) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ج7، ص73 .

(4) عبد الكريم بن موسى الريفي : المصدر السابق، ص 24.

4-الجيش المغربي وتحرير الثغور المحتلة :

إن إنشاء مؤسسة عسكرية منظمة، وإخضاعها لتكوين احترافي علمي، وتوفير الوسائل والمقومات الممتازة، ترتيبات تبقى ذات أهمية قصوى لتنفيذ المشروع الإسماعيلي المتعدد الأبعاد، والمنطلق من توحيد البلاد على المستوى الداخلي من جهة، تم تحصينها واسترجاع ثغورها المحتلة من جهة أخرى، وإذا كان الشرط الأول قد سار في اتجاه صحيح ومتفق عليه مبدئيا، وهو استرجاع هيبة الدولة وتوفير الأمن والاستقرار لساكنتها فإن الشرط الثاني، المتمثل في استعادة المدن المغربية الساحلية، حيث عمد السلطان مولاي إسماعيل إلى استرجاع المعمورة (المهدية) من اسبانيا عام 1092هـ/1681م وبعد معارك طاحنة دارت بين القوات الإسبانية[1].

ركز الفكر العسكري الإسماعيلي، بعد النصر الذي حققه في المهدية، منصبا على مواصلة تحرير الثغور المغربية المحتلة، وقد عمل على محاصرة مدينة طنجة التي كانت محتلة من قبل الإنجليز، سنة 1095هـ/1684م، حيث تم خروج الإنجليز من المدينة بعد معركة قصيرة حسمها الجيش المغربي بقيادة أبي الحسن علي بن عبد الله الريفي، وغنم فيها المغرب مدافع نحاسية من صنع إسباني تم إرسالها إلى العاصمة مكناس[2].

ولاستكمال مسلسل تحرير بقايا الاحتلال الأجنبي للمدن المغربي، واصلت القوات المغربية تعبئتها لطرد الأسبان من مدينة العرائش التي تعتبر موقعا استراتيجيا مهما ورئة حيوية كانت أكثر تحصينا، وهكذا فعمد الجيش المغربي عام 1100هـ/1689م، على اقتحامها بعد ثلاثة أشهر من الحصار[3].

---

(1) ينظر: Publies par la direction des affaires indigènes et du service des renseignements (section sociologique) : villes et tribus du Maroc ,V Vll ,édition Ernest Leroux , Paris , pp 82-84 .

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : المصدر السابق، ج7، ص73 وص77.

(3) محمد بن العياشي المكناسي: **زهر البستان** : المصدر السابق، ص 133.

وقد تابع الجيش المغربي بأمر من السلطان مولاي إسماعيل تحركاته، نحو المدن المحتلة، حيث أقام حصارا قاسيا على مدينة أصيلا، وصلت مدته إلى سنة.

عانت منه القوات الإسبانية الأمرين، ليتم طردهم نهائيا منها في العام 1691م، لتنتقل الجيوش المغربية إلى المنطقة الشمالية المطلة على البحر المتوسط حيث تمت محاصرة مدينة سبتة سنة 1694م[1].

لم تكن فقط الواجهتان المتوسطية والأطلنطية في صلب التفكير العسكري للسلطان المولي إسماعيل، بل عمل كذلك على الحد من أطماع القوات التركية المرابطة بالجزائر، والتي كانت تهدد بين الفينة والأخرى التراب المغربي.

حيث خرج مولاي إسماعيل سنة 1089هـ/1676م غازيا للصحراء الجزائرية فترك مدينة تلمسان عن يساره، وذهب موغلا في الصّحراء مستقطبا القبائل وعاد بهم إلى أن وصل نهر الشلف، وعلى الضفة المواجهة للنهر فاجأتهم القوات الجزائرية، وأطلقت على الجيش المغربي نيران المدفعية، فانهزم جيش السّلطان. [2]

وعلى الواجهة الجنوبية، فقد أعاد السلطان مولاي إسماعيل، بجيشه الجرار الصحراء الكبرى والسودان إلى الحكم المغربي، حتى أن نفوذ الدولة المغربية كان يمتد آنذاك إلى ما وراء النيجر، وشرقا إلى بسكرة [3] في الجزائر.

كما راقبة هده السلطة المركزية حركة الجهاد البحري ووجهت أغلب عائداته لبيت المال[4].

---

(1) : ينظر Chantal de la Véronne :Sources Européenne du L histoire du Maghreb, in Philologique Annuaire ,1967.1968 , Année 1968,pp 509,510.

(2) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**،ط2، شركة دار الأمة،الجزائر 2007، ج3،ص191.

(3) هي ولاية تقع بالجهة الجنوبية الشرقية من الجزائر تبعد عن عاصمة البلاد بـ 400 كلم، عروس الزيبان بوّابة الصحراء وملتقى الحضارات ومهد العلماء، بسكرة أو فيسيرا أو سكرة مدينة الجمال الأخاذ والسحر الفاتن، ينظر **تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل**، عن الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية، بالتعاون مع ولاية بسكرة طبعة عام 2008، الجزائر.

(4) حسن أملي : **الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر**، ط 1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006، ص63.

وكانت له علاقات مع الدول الخارجية مثل :

مع الأتراك: ساند أتراك الجزائر بعض القبائل الثائرة وساند السلطان الجزائريين ضد الأسبان غير أنه لم يدخل في حرب مع الأتراك وأُعْتُبِرَ واد تَفْنَا حدا فاصلا بين المغرب والجزائر.

مع فرنسا: كان أساس المفاوضات بين الدولتين مشكلة الأسرى وعندما استعصى الحل أرسل السلطان سفارة مغربية إلى الملك لويس14تضم محمد بن تميم، وعبد الله ابن عائشة لكن النتائج كانت محدودة .

مع بريطانيا: رسخ المغرب علاقته الدبلوماسية والتجارية معها خاصة بعد إحتلالها لجبل طارق سنة 1704م فكانت تزوده بالأسلحة ويزودها بالمحاصيل الزراعية وتوجت العلاقة بعقد معاهدة تجارية سنة 1721م .[1]

- **وأخيرا يمكننا القول مما سبق :**

سيطرت على المولى إسماعيل فكرة سيادة المغرب سيادة تامة وإقامة الوطن العربي الموحد. لذلك سعى من البداية جاهدا إلى القضاء على مراكز القوة العسكرية الداخلية، لذلك فكر السلطان في حتمية تكوين جيش متخصص في شؤون العسكرية، هذا ما جعله يدافع عن سياسته وهي التمليك والتي هي بدورها كانت سبب الخلاف بينه وبين العلماء وفقهاء المغرب وقد كانت النهاية مأساوية.

حيث ضحى المولى إسماعيل بفقيه جليل وهو العالم جسوس في سبيل إتمام فكرته والمضي قدماً، حيث شكلت مسألة تأسيس جيش مغربي محترف، استثناء في تاريخ المغرب الحديث، بفضل السياسة العسكرية للسلطان المولي إسماعيل، مما مكن المغرب من تبوأ مكانة متميزة ضمن الدول القوية، حيث استعادت الدولة هيبتها وانتشر الأمن والاستقرار، وواكب ذلك تحرير جل الشواطئ المغربية وحماية الطرق التجارية الصحراوية.

(1) جلول بن قومار : المرجع السابق ،ص7.

مما انعكس إيجابا على الاقتصاد المغربي. فكانت سياسة المولى إسماعيل في تكوين جيش عبيد البخاري لها دوراً إيجابياً على مدى فترة حكمه.

لقد اعتمد المولى إسماعيل من أجل إقرار المركزة على أسلوب سياسي أساسه القوة العسكرية ، وضمن بذلك استقرارا سياسيا نسبيا كانت له نتائج اقتصادية واجتماعية .
غير أن ذلك ارتبط بشخصيته مباشرة بعد وفاته سنة1727م سيتمزق ما سعى إليه لتدخل الدولة العلوية مرحلة جديدة من الصراعات حول العرش نتجت عنها صعوبات هددت الحكم .

ومما سبق يمكننا أن نلخص القول في حياة المولي إسماعيل هو السّلطان أبو النصر إسماعيل بن الشّريف ولد بسوس عام خمسة وستين وألف للهجرة (1065هـ) /1654م، يرجع نسبه كما أجمع عليه المؤرخون إلى الأشراف العلويين من سلالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء، موطنهم الأصلي منطقة ينبع من الحجاز،بجانب النسب الشريف تحلى المولى بصفات خلقية وخلقية حميدة جعلته محبوب لدى الجميع حتى منافسيه من الأجانب ذكروا خصاله الحميدة وهذا إن دل فانه يدل علي مناهله ذات النبع السليم التي أساسها الدين الإسلامي، وعلماء عصره وزمانه جعله يتفرد في خصاله و صفاته .

وصل المولى إسماعيل إلى حكم المغرب في ظروفا سياسية صعبة، بسبب ما خلفه التنافس على الحكم بين أخويه المولى محمد والمولى الرشيد من آثار سياسية، وأن يضع حدا لثورات الأمراء، وبالتالي للمحاولات الإنفصالية المتسمرة مثل صراع الدلائيين وتمردهم على السّلطة القائمة بظل هؤلاء الأمراء كذلك استطاع أن يوحد المغرب تحت سلطته ويحقق لشعبه الأمن والاستقرار، ولم تقف جهوده هنا فقط بل ذهب حد تخليص عدد كبير من الثغور واسترجاعها من المستعمر الأجنبي، حيث عرفت علاقاته مع أوربا عامة واسبانيا خاصة الصراع والتوتر السياسي والدبلوماسي، وتمثلت هذه المرحلة في العمليات العسكرية التي قام بها في سبل تحرير الثغور المغربية المحتلة، وما نتج عنها من العمليات الجهادية وكانت النتيجة تحرير الثغور مثل المعمورة في أفريل 1092 هـ/1681م وطنجة 1095هـ/1684م والعرايش 1101هـ/1690م أصيلا 1102هـ/1690م تحرير سبتة ومليلة من خلال الدعم الفرنسي بالإضافة إلى مرحلة الصراع والصدام العسكري بين الجزائر وسلطان المغرب المولى إسماعيل، الذي حاول خوض معارك طاحنة مع الجزائر في الحدود الشّرقية للمغرب وذلك ليضمن عدم تقدم المد العثماني للبلاد بل طمح في التقدم نحو الشرق وكانت حلم الخلافة الإسلامية وشرعيته النسب العلوي أحق به من التركي العثماني، وهذا التفوق في جميع النواحي سواء السياسية الدبلوماسية والعسكرية كان بفضل الجيش الذي أسسه وكونه ودربه المولى إسماعيل.

هذا ما يجعلنا نتساءل : كيف كانت بدايات تكوين هذا الجيش ؟ وما هي إنجازاته ؟

– بعد توليه الحكم عمد المولى إسماعيل إلى إعادة تنظيم مؤسسة الجيش، وفي ذلك الإطار تشير بعض المصادر بأنه أنشأ فرق جيوش كثيرة ومن أبرزها جيش "عبيد البخاري" الذي وصل عدد عناصره إلى 150 ألفا، "الذي فرقهم في نواحي البلاد وحصنهم في القلاع لضمان الاستقرار والهدوء في مختلف أرجاء مملكته"، كما حرص على تقوية الأسطول البحري و تنظيمه المحكم للجيش وسياسته مكنته من تحرير واسترجاع مجموعة من الثغور، وهي المهدية وطنجة والعرائش وأصيلا، كما حاول تحرير سبتة ومليلية. وقد قام ببناء 76 قصبة في أنحاء المغرب، وكانت وظيفة العديد منها حماية السواحل.

– سيطرت على المولى إسماعيل فكرة سيادة المغرب سيادة تامة وإقامة الوطن العربي الموحد. لذلك سعى من البداية جاهدا إلى القضاء على مراكز القوة العسكرية الداخلية، لذلك فكر السلطان في حتمية تكوين جيش متخصص في شؤون العسكرية، هذا ما جعله يدافع عن سياسته وهي التمليك والتي هي بدورها كانت سبب الخلاف بينه وبين العلماء وفقهاء المغرب وقد كانت النهاية مأساوية، حيث ضحى المولى إسماعيل بفقيه جليل وهو العالم جسوس في سبيل إتمام فكرته والمضي قدماً، حيث شكلت مسألة تأسيس جيش مغربي محترف، استثناء في تاريخ المغرب الحديث، بفضل السياسة العسكرية للسلطان المولي إسماعيل، مما مكن المغرب من تبوأ مكانة متميزة ضمن الدول القوية، حيث استعادت الدولة هيبتها وانتشر الأمن والاستقرار، وواكب ذلك تحرير جل الشواطئ المغربية وحماية الطرق التجارية الصحراوية، مما انعكس إيجابا على الاقتصاد المغربي، فكانت سياسة المولى إسماعيل في تكوين جيش عبيد البخاري لها دوراً إيجابياً على مدى فترة حكمه.

وقد نظم الشاعر محمد الطيب العلمي قصيدته يمدح فيها المولى إسماعيل وبنوه بمفاخر جيشه منها :

لك العز والتأييد والفتح والنصـر أيا ملك له البر والحــر
جنودك كالليل البهيم مهابــة ولكنها أبطالها الأنجم الزهــر
تقدمها الخير عتاق إذا عــدت تكاد تجاريها الرياح أو الطيـر
فمن أدهم تبيض منه قوائــم ومن أشهب حر على ظهره حـر
يثور في أوجه القوم طاعنــا فتحسبهم صيداً أحاط به الصقـر
فكم راحة بيضلء تحمر بالدمــا وإذا إنعقدت للحرب أولوية خضـر
وقائع أن مرت وفات زمانهــا سيبقا على مر الزمان لها ذكـر

لكن هل استمر جيش المولى إسماعيل عبيد البخاري على هذا الدرب ؟

الملحق الأول :

رسم للسّلطان المولى إسماعيل الشريف العلوي [1]

مولاي اسماعيل بن الشريف ثالث سلاطين الأسرة الملكية العلوية ص 40 - 4

(1) عبد الرحمان بن زيدان : **العلائق السياسية للدولة العلوية**، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشلاذلي، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ /1999م، ص49.

الملحق الثاني :

رسم للمولى إسماعيل على جواده متأهبا للحرب (رسم جان ماري لوي)[1]

مـولاي اسمـاعيـل علـى جـواده متاهبـا للحـرب (رسم جان ماري لوي)

(1) عبد العزيز بن عبد الله : **الجيش المغربي عبر العصور**، المرجع السابق، ص61.

الملحق الثالث :

رسم لفارس بخاري[1]

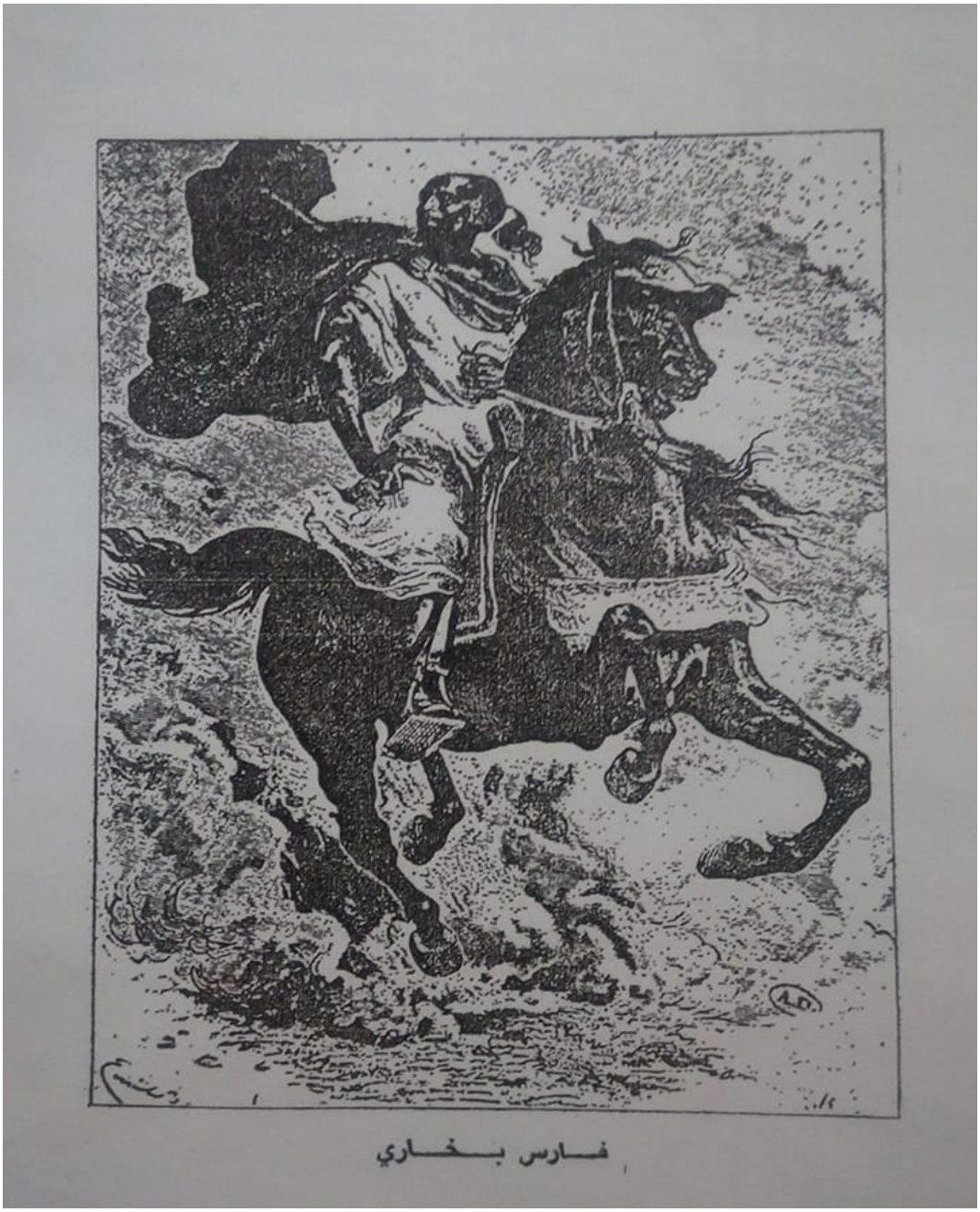

(1)عبد العزيز بن عبد الله : **الجيش المغربي عبر العصور**، المرجع السابق، ص113.

الملحق الرابع :

رسالة يؤاخذ مولاي إسماعيل على العالم محمد عبد الله الفاسي عدم وضوح موقفه من العلماء الذين رفضوا التوقيع على ديوان العبيد [1]

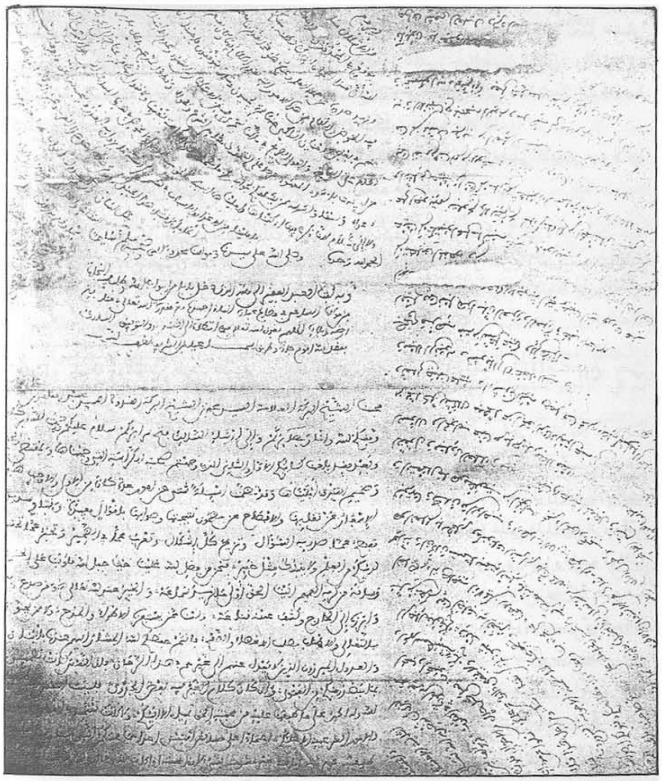

ظهير يؤاخذ فيه مولاي إسماعيل على العالم محمد بن عبد القادر الفاسي عدم وضوح موقفه من العلماء الذين رفضوا التوقيع على ديوان العبيد

80

(1)يظهر في هذه الرسالة أن عملية إسترقاق كل العبيد او ذوي الجلدة السوداء ،وإعتبارهملكا للسلطان قد أخذت مع مرور الوقت وإرتفاع حاجة السلطان لمزيد من العبيد لإقناعه بنجاعتهم في الجيش ،ينظر ثريا برادة : **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**، ص80

الملحق الخامس :

رسالة مولاي إسماعيل للعالم محمد عبد الله الفاسي حول مسألة الجيش وتمليك السود والحراطين [1]

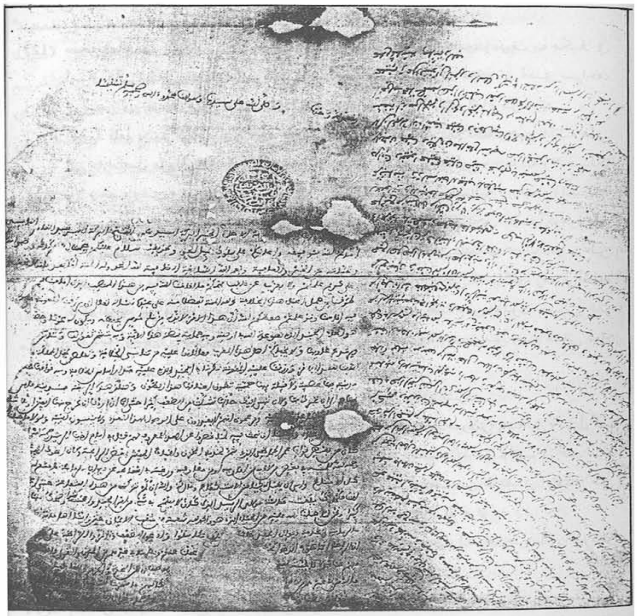

ظهير مولاي إسماعيل للعالم محمد بن عبد القادر الفاسي حول مسألة الجيش وتمليك السود والحراطين

81

(1) في هذا الظهير قد اعتبر السلطان اسماعيل السود عبيد سواء الذين تثبت علوديتهم ببنية من طرف مالك ، إما بالشراء أو بالإرث الذين كانوا يعتبرون أحرارا ولم تثبت عبوديتهم لأحد ،ينظر ثريا برادة : **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**، ص81

الملحق السادس :

رسم يبين مهراس استعمال في العهد الاسماعيلي[1]

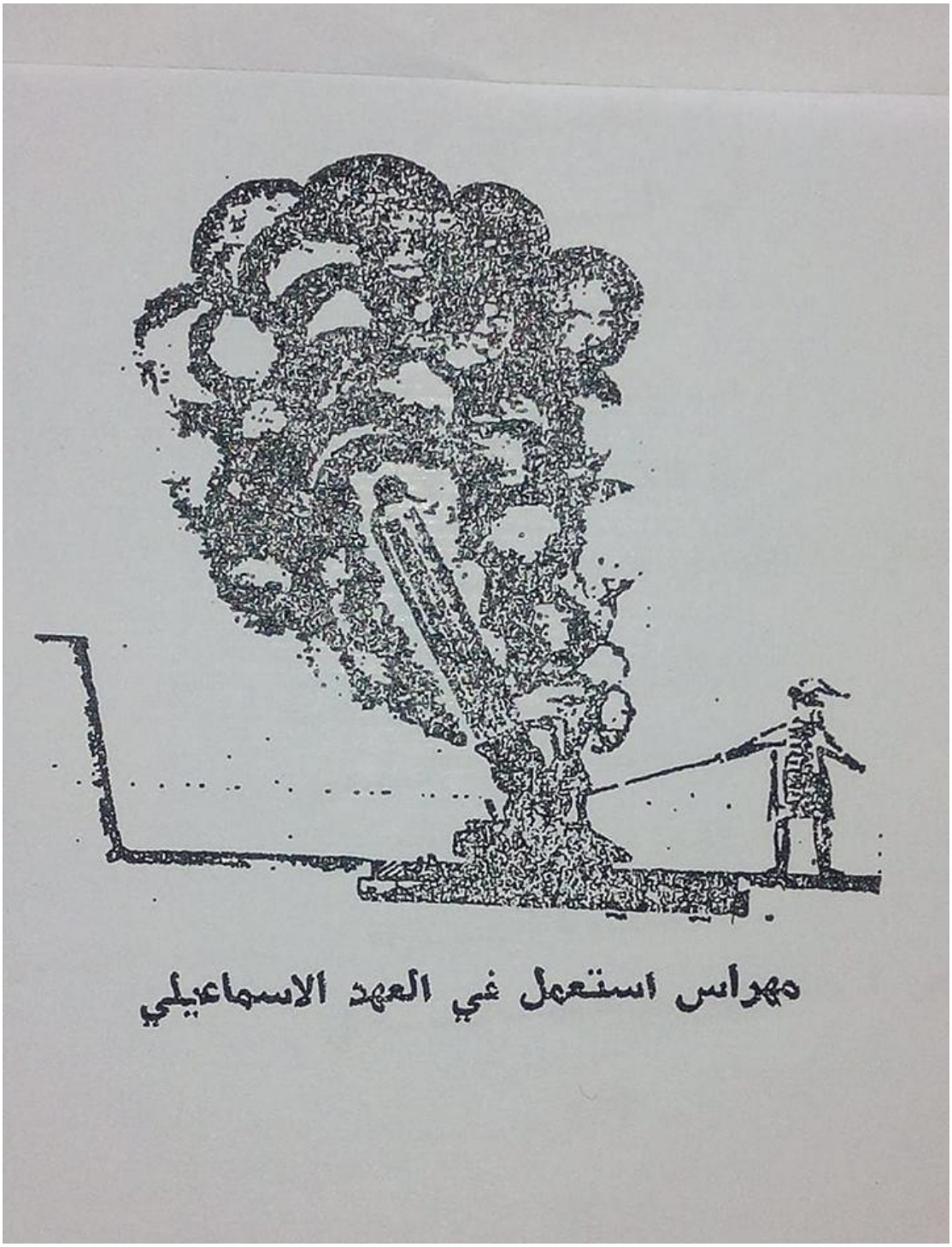

(1) ثريا برادة : **الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**، ص165.

أولاً : المصادر باللغة العربية والمعرّبة

1-الأتابكي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي : "**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**"، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين، 16ج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م.

2-البكري أبي عبد الله : "**المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**"، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد، لم تذكر السنة.

3-الريفي عبد الكريم بن موسى : "**زهر الأكم**"، دراسة وتحقيق آسية بن عدادة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992م.

4-الزياني أبو القاسم أحمد : "**البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف**"، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، ط1، مركز الدراسات والبحوث العلوية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

5-"**الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب**"، ترجمه للفرنسية هوداس، المطبعة الوطنية، باريس 1882م.

6-"**جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ المولى سليمان**"، تقديم وتحقيق عبد المجيد حيالي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2003 م.

7-السلماني لسان الدين بن خطيب : "**معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار**"، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م.

8-بن سلام أبو عبيد القاسم : "**كتاب الأموال**"، تحقيق : خليل محمد هراس، دار الفكر، (بيروت 1408هـ/1988م).

9-الضّعيف محمد الرباطي : "**تاريخ الضّعيف(تاريخ الدولة السعيدة)**"، تحقيق أحمد العماري،ط1،دار المأثورات الرباط 1986م.

10- العلوي أحمد بن عبد العزيز : "**الانوار الحسينية** "، تحقيق احمد بن مجيد بن جلول، نشر وزارة الأنباء.

11- الفاسي علي بن أبي زرع : "**الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**"، دار المنصورة للطباعة الوراقة، الرباط، 1972م.

12- الفاسي أبي عباس أحمد بن عبد الحي الحلبي : "**الدر النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس**"، تقديم وتحقيق محمد بوحنيفي، ج2، دار الكتب العلمية.

13- الفشتالي أبو فارس عبد العزيز : "**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**"، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1972م.

14- القادري محمد بن الطيب : "**نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثان**"، تحقيق محمد حجي وأحمد توفيق (موسوعة أعلام المغرب)، ط1، دار الغرب الإسلامي، ج 3، بيروت 1996م.

15- القادري محمد بن الطيب : "**إلتقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبرمن أخبار وأعيان المائة الحادية و الثانية عشر**"، دراسة وتحقيق هاشم العلوي القاسمي، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983م.

16- الكنسوسي أبي عبد الله محمد بن أحمد : "**الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي**"، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي، ج1، الرباط 1994م.

17- بن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر : "**البداية والنهاية**"، طبعة دار هجر، ج14، دون تاريخ.

18- كنون عبد الله : "**النبوغ المغربي في الأدب العربي**"، تحقيق عبد السلام الهراس، ج2، 1960م.

19- مجهول : "**تاريخ الدولة السعدية الدرعية التّكمدارتية**"، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة ، ط1، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش 1994م.

20- مجهول : "**مفاخر البربر**"، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، طباعة دار أبي رقراق 2004م.

21- مجهول : "**تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**"، ترجمه للفرنسية هوداس، باريس 1901م.

22- مويط جرمان : "**المغرب في مطلع العهد العلوي (1659/1682م) تاريخ مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل** "، ترجمة حسن أملي،تقديم عثمان المنصوري ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006م.

23- المشرفي عبد القادر بن عبد الله:"**الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية**"، دراسة وتحقيق ادريس بوهليلة، المملكة المغاربية.

24- المقري أحمد بن محمد : "**روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام، مراكش وفاس**"، ط2، المطبعة الملكية الرباط 1983م.

25- مويط جرمان : "**رحلة الأسير مويط**"، تعريب محمد حجي ومحمد الأخضر، وزارة الثقافة المغربية، دار المناهل للطباعة والنشر، المغرب 1990م .

26- الولاتي محمد صالح بن عبد الوهاب الناصري : "**الحسوة البيسانية في علم الأحزاب الحسانية**"، تحقيق ودراسة حماه الله ولد سالم ، ط1، دار الكتب العلمية 2006م.

27- اليفرني محمد بن عبد الله الصغير : "**روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشّريف**"، ط2، المطبعة الملكية، الرباط 1995م.

28- "**نزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي**"، تحقيق عبد اللّطيف الشاذلي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب 1998م.

29- "**صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**"، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، ص1، مركز التراث الثقافي المغرب، الدار البيضاء المغرب 2004م.

30- اليوسي الحسن : "**المحاضرات في الآداب واللغة**"، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ط2 دار الغرب الإسلامي للنشر، ج1، 2006م.

ثانيا : المراجع باللغة العربية

1- أبو إدريس إدريس:"**الثابث والمتغير في بنية الدولة المغربية**"، ج2، مطبعة المنفي برينتر المحمدية المغرب.

2- البسكري مور الدين عبد القادر : " **لقول المآثور من كلام الشيخ عبد الرحمان المجذوب**"، اعتنى به عادل الحاج همال الجزائري، المطبعة الثعالبية، الجزائر.

3- برادة ثريا : "**الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر**"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ط1، 1997، مطبعة النجاح الجديدة البيضاء، المغرب.

4- حجي محمد:"**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**"، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب 1988.

5- حركات إبراهيم : "**المغرب عبر التاريخ**"، ط1، دار الرشاد الحديثة،ج 2، الدار البيضاء، المغرب 1978.

6- "**السّياسة والمجتمع في العصر السّعدي**"، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب 1985م.

7- بن جلول عبد المجيد : "**هذه مراكش** "، مطبعة الرسالة، ط1، القاهرة 1949 م.

8- الجيلالي عبد الرحمان بن محمد : "**تاريخ الجزائر العام**"، ط2، شركة دار الأمة ، ج3، الجزائر 2007 م.

9- داود محمد : "**تاريخ تطوان**"، تقديم وتحقيق محمد بنونة، مج1، معهد مولاي الحسن، المغرب 1959.

10- زمامة عبد القادر ،زكار سهيل : "**الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية**"، دار الرشاد الحديثة، الرباط 1979م.

11- ابن زيدان عبد الرحمان : "**الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة**"، المطبعة الاقتصادية، الرباط1937.

12- "**المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف**"، تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي، ط1، مطبعة إديال، الدار البيضاء، المغرب 1993.

13- "**إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**"، تحقيق علي عمر،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، ج2، القاهرة 2008.

14- "**العز والصولة في معالم نظم الدولة**"، المطبعة الملكية، ج1، الرباط 1961.

15- السربون محمد الأخضر : "**الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية**"، دار الرشاد الحديثة، 2013م.

16- الفيلالي عبد الكريم :"**التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**"، ط1، شركة ناس للطباعة، ج 3، القاهرة 2006.

17- السويسي عبد الله : "**تاريخ رباط الفتح**"، مطبوعات دار المغرب الرباط 1399-1979م.

18- السوسي محمد المختار : "**خلال جزولة** "، مطبعة المهدية تطوان المغرب.

19- السوسي محمد المختار: "**ايليغ قديما وحديثا**"،تعليق محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية، الرباط 1966.

20- السملالي عباس بن إبراهيم : "**الاعلام بم حل مراكش واغمان من الإعلام**"، تحقيق ابن منصور عبد الوهاب، مطبعة الملكية الرباط 1413هـ-1993م.

21- سهيل زكارة وعبد القادر زمامة :"**الحلل المنسية في ذكر الأخبار المراكشية**"، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، الرباط ط1، 1399هـ/1979م.

22- الشاذلي عبد اللطيف : **الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن** 17م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، أطروحات ورسائل، 1982م.

23- صالح سالم عبد العزيز : "**مكناسة الزيتون عاصمة السلطان الموى إسماعيل**"، دار المعرفة للنشر، ج4، 2009م .

24- بن عبد الله عبد العزيز : "**معطيات الحضارة المغربية** "، نشر وتوزيع الكتب العربية، الرباط 1963.

25- بن عبد الله عبد العزيز : "**تاريخ المغرب(العصر الحديث والفترة المعاصر)**"، نشر وتوزيع مكتبة السلام، مكتبة المعارف، الدار البيضاء، الرباط .

26- بن عبد الله عبد العزير : "**الجيش المغربي عبر العصور**"، المطبعة والمكتبة العالمية، الرباط 1986م.

27- العروي عبد الله : "**مجمل تاريخ المغرب**"، ط5، المركز الثقافي المغربي، دار البيضاء المغرب، 1996م.

28- الفيلي فاطمة خليل : "**رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسفي**"، ج1، دار الثقافة، دار البيضاء 1401هـ/1981م.

29- القبلي محمد : "**تاريخ المغرب**"، ط1،منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط 2011.

30- مخلوف محمد بن محمد : "**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**"، المطبعة السلفية، القاهرة 1349هـ.

31- المريني عبد الحق : "**الجيش المغربي عبر العصور**"، المكتبة والمطبعة العالمية، الرباط 1406هـ/1986م

32- مناصرية يوسف : "**مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832–1847**"، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر 1990م.

33- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد:**الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية** تحقيق وتعليق :جعفر الناصري ومحمد الناصري ،نشر دار الكتاب الدار البيضاء ، **ج2، ج3،ج4، ج7**، 1418هـ/ 1997م.

34- الوزاني التهامي :"**تاريخ المغرب**"، ج2، نشر مكتبة الريف تطوان.

ثالثا :المصادر باللغة الأجنبية

1-de Castries Henry***: les sources inédites de L histoire du Maroc dynastie filalinne*** ,*2 serie , Archives bibliothèques France , T1, Ernest leroux , Paris 1909.*

2-*Deverdum*Gaston:Marrakech des Origine a 1912 , *v2,editions teknikues nord afrikaines 1966.*

3-*devergun –G-:Ency.de lislam* .

4- *Pascon Paul **: le Hauz de marrakech*****5-** *Eugène Aubinle**: Maroc d àujourdhui**.*

5-*Magali Morsy et Thomas Pellow :* ***Une lecture du maroc du 18 siecle****, Paris 1983.*

6-*Mogali Morsy* ***:Molay Smail ,et l àrmée de métier,*** *revue d historic moderne et etcontemporaine ,n°14 ;Avril ,et juin 1969.*

7-*Nolet* ***:les renégats leur contribution à la costruction de létat marocain.*** *de 17 et 18 siccle ,Mais2008 ,univrdié du quebec, à Montréal.*

رابعا : الدوريات العربية

دعوة حق :

1-العمراني عبد الله :"المولى إسماعيل"، العددان : 194-195.

2-السايح حسن : "**الدبلوماسية الاسماعلية**"، عدد خاص، مارس 1974.

3-المغراوي محمد :"**تنظيم جيش البخاري في عهد مولاي إسماعيل** "، العدد 203.

4-"**العلاقة الدبلوماسية المغربية في غهد الدولة الشريفة**"، العدد 36.

5-المريني عبد الحق : "**الجيش المغربي في عهد ابي النصر المولى إسماعيل قاهر الأعداء**"، العدد 282، مارس 1991.

– مجلة تطوان :

1- الفاسي محمد :"حياة المولى إسماعيل"، عدد خاص، 1970.

2- الكتاني يوسف : "**المولى إسماعيل رائد الدولة العلوية الشريفة**" العدد 278، 6 يناير 2014م.

– مجلة كلية الآداب بتطوان :

1- بنيس عبد الحي : "**موقف ملوك الدولة العلوية من رجال البعثات الدينية الإسبانية إلى المغرب من خلال الوثائق المخزنية**"، جامعة عبد الملك السعدي، العدد 9، 1999م.

–مجلة كان التاريخية:

1- علي سالم أحمد : "**العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر**" عدد 13 سبتمبر،2011.

- **مجلة المؤرخ العربي :**

1- يحيى جلال : "**المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب**"، عدد 2، بغداد العراق، 1977م.

– مجلة المناهل:

2- المريني عبد الحق : "**مقال القوام العسكري في الحضارة المغربية** "، العدد 12.

– مجلة الواحات للبحوث والدراسات :

1- بن قومار جلول : "**المغرب الأقصى في عهد أحمد المنصور السّعدي 1578–1603م**"، عدد 20، جوان 2014.

2- بن قايد عمر : "**أضواء على العلاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/17م**"، العدد 17، 2012م

– مجلة هسبريس:

1- الترزاني إسماعيل : "**هؤلاء الأقارب العقارب الذين ثاروا على السلاطين العلويين**"، العدد 22، 1 يونيو 2014.

– مجلة الأوقاف والشؤون الدينية المغربية :

1- "**المولى إسماعيل**" 1139-1082هـ/1672-1727م".

– مجلة العمق المغربي :

1- الجعدي هشام : "**معارضة العلماء لسياسة السلطان إسماعيل العسكرية ومحنة العالم جسوس**" (1109هـ-1221هـ)،1 فيفري 2017.

2- العتر محمد : "**تاريخ جيوش العبيد في العالم الإسلامي الانكشارية وعبيد البخاري**".

– الدوريات باللّغة الأجنبية :

1- Revue Philologique Annuaire : *Véronne Chantal :* ***Sources Européenne du L histoire du Maghreb****, Annuaire, 1967-1968, Année 1968.*

2- Revue du Monde Musulman : *-Ep Michaux bellaire :* ***L'Organisme Marocain****,, Septembre, Paris 1909.*

رابعا : الرسائل الجامعية باللغة العربية :

1- بن قومار جلول : "**علاقات المغرب الأقصى السياسية والدبلوماسية مع دول ضفتي غرب المتوسط في عهد احمد منصور السعدي وإسماعيل العلوي (1603-1578/1727-1672م)**" أطروحة دكتوراه في علوم التاريخ الحديث والمعاصر سنة 2016/2015م غرداية.

2- محمد الحيمر : "**الجيش الدخيل في الدولة الإسلامية، جيش العبيد والانكشارية العثمانية محاولة في المقارنة**"، أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف المودن عبد الرحمان، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط 2001.

3- أحمد شربيتي : "**العلاقات الجزائرية المغربية (905هـ-1194هـ)/(1500م -1780م)**"، مذكرة ماستر تخصص حديث ومعاصر، 2015م/2016م، خميس مليانة –الجزائر.

خامسا : القواميس والمعاجم العربية

1- الزركلي خير الدين : "**الأعلام**"، ط 15، دار الملايين، بيروت 2002م.

2- مجمع اللغة العربية : "**معجم الوسيط**"، ط 5، ج 5، 2011م .

فهرس المحتويات

الرقم	العنــوان	الصفحة
01	إهداء	
02	شكر	
03	قائمة المختصرات	
04	المقدمة	**07**
	الفصل الأول : المولى إسماعيل حياته وآثاره	
05	1-مولده ونسبه	**16**
06	2-صفته	**20**
07	3-نشأته	**23**
08	**المبحث الثاني : المولي إسماعيل توليه الحكم**	**24**
09	**1-** أبناء المولى إسماعيل وحفدته	**24**
10	**2-** بيعته	**28**
11	**المبحث الثالث : أثار المولي إسماعيل (السياسية والعسكرية)**	**33**
12	**1-** آثاره السياسية والعسكرية	**33**
13	**2-** وفاته	**37**
	الفصل الثاني : جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل (1672-1724)	
14	**المبحث الأول : فرق الجيش في عهد المولى إسماعيل**	**42**
15	**1-** تكوين وحدات الجيش الإسماعيلي	**42**

16	**2-** جيش الودايا وجيش عبيد (البخاري).....	**45**
17	**3-** جيش الشراردة وجيش النار.....	**48**
18	**المبحث الثاني : تحرير الثغور**.....	**51**
19	**1-**سياسة المولى إسماعيل الحربية.....	**51**
20	**2-**تحرير المهدية 1681م وطنجة 1684م.....	**53**
21	**3-**فتح مدينة العرائش 1699م وأصيلا 1700م.....	**57**
22	**4-**محاولة فتح سبتة.....	**60**
23	**المبحث الثالث : المعدات العسكرية**.....	**63**
24	**1-** الأبراج والقلاع والقصبات الاسماعلية.....	**63**
25	**2-** الخيم والخيول والفيلة.....	**69**
26	**3-** الأعلام والسلاح و البارود.....	**70**
27	**4-** الطبجية والقناطر والجسور.....	**73**
	الفصل الثالث : جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل (1672-1724)	
28	**المبحث الأول : تأسيس جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل** (1672/1727م)	**78**
29	**1-** الأصول الأم لهذا الجيش.....	**78**
30	**2-** تسميته.....	**81**
31	**3-** فرقه.....	**82**
32	**4-** العوامل المؤدية إلى تأسيس جيش عبيد البخاري.....	**83**
33	**المبحث الثاني : تطور جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل** (1672/1727م)	**89**
34	**1-** تنظيم جيش عبيد البخاري.....	**89**
35	**2-** تدريب وتسليح (وحدات الجيش)	**92**

36	**3-** الحياة الاجتماعية للعبيد.....	**96**
37	**المبحث الثالث : مكانة جيش البخاري في تاريخ المغرب**.....	**98**
38	**1-** رأي علماء الدين في تكوين جيش عبيد البخاري.....	**98**
39	**2-** الخلاف على الحراطين.....	**103**
40	**3-** دور جيش عبيد البخاري في عهد المولى إسماعيل (1727/1672م)	**110**
41	الخاتمة.....	**119**
42	الملاحق.....	**123**
43	فهرس المصادر والمراجع.....	**130**

Résumé

En conclusion, le Sultan Moulay Ismaël **(1672/1727),**renouvela les unités de l'armée marocaine, ce qui lui apporta force, et il en récupéra une précieuse Madenta et une noble place où les étrangers régnèrent pendant de nombreuses années .Le Maroc fit un pays cher à l'invincible pays, grâce à sa nouvelle armée. Bukhari ou l'armée des descriptions.

الملخص

والخلاصة أن السلطان المولى إسماعيل **(1727/1672م)** ،هو الذي جدد وحدات الجيش المغربي أعاد إليه القوة والبأس استرد به مدنت عزيزة ومراسي نفيسة تَحكَمَ فيها الأجانب سنين طويلة ،وجعل المغرب قطراً عزيز الجانب منيع البلاد ، زاخراً بالبروج الحصينة والقلاع المشيدة، ويرجع كل هذا الفضل لجيشه الجديد وهو عبيد البخاري أو جيش الوصفان .